IUG Journal of Islamic Studies
Peer-reviewed Journal of Islamic University-Gaza
E-ISSN: 2410-5201
P-ISSN: 2410-8715
IUGJIS
Vol 32, No 3, 2024, pp 1 -34

Received on (05-06-2023) Accepted on (11-07-2023)

https://doi.org/10.33976/IUGJIS.32.3/2024/1

The Ibadi interpretation for Allah attributes through their own interpretations in the light of doctrine of the righteous predecessors

Mohammed Y. S. Skaik[*1] & Prof. Khaled H. A. Hamdan[*2]
Department of Islamic Faith - Faculty of Fundamentals of Religion - Islamic University – Gaza[*1,2]

*Corresponding Author: m.y.skaik@gmail.com

Abstract:
This research reveals the fact that the Ibadism (alabadaya) uses their own interpretations in spreading their own beliefs, through the Holy Quran verses concerning the faith, The research focuses on their interpretation of the Holy Quran verses regarding Allah attributes, and discusses that in the light of doctrine of the righteous predecessors, In addition, the research identifies the concept of interpretation, its kinds and its dangers. Also, the research clarifies the concept of the ibadi sect, its origins, its most important beliefs, and its connection with the Kharijites, The research shows the ibadi interpretations, and their definitions whether lost, manuscript, or printed with a statement of their approach, and most important advantages and reproach for them, Finally, the research focuses on the ibadi own interpretation of Allah attributes in their interpretations, with mentioning examples of that, In fact, the research uses the historical, inductive, critical and the comparative method. The research concludes that the ibadi sect is one of the Kharijites sects, and agreed with in most of the beliefs.
Keywords: The Holy Quran, Ibadism, Allah attributes, The Sunna people.

تأويلات الإباضية للصفات الإلهية من خلال تفاسيرهم في ضوء عقيدة السلف الصالح

محمد يحيى صبحي سكيك1، أ. د. خالد حسين عبد الرحيم حمدان2
قسم العقيدة الإسلامية - كلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية - غزة1,2

الملخص:
يكشف البحث عن حقيقة توظيف الإباضية لتفاسيرهم في نشر عقائدهم، من خلال تأويل آيات العقيدة، ويركز البحث على تأويلاتهم لآيات الصفات الإلهية، ومناقشة ذلك في ضوء عقيدة السلف الصالح، ويتناول البحث تعريف التأويل وأنواعه ومخاطره، ثمّ يبيّن البحث مفهوم فرقة الإباضية نشأتها وأهم عقائدها وصلتها بالخوارج، كما وتَعرّض البحث لتفاسير الإباضية والتعريف بها، سواء المفقود منها أو المخطوط أو المطبوع، مع بيان منهجهم فيها، وأهم المزايا والمؤاخذات عليها، وركّز البحث - أخيرًا - على تأويلاتهم لصفات الله Y في تفاسيرهم، مع ذِكر نماذج على ذلك، وقد وظّف البحث المنهج التاريخي والاستقرائي والنقدي والمقارن، وخلص البحث إلى نتائج أهمها أنّ الإباضية فرقة من فرق الخوارج، وافقتها في معظم العقائد، وأنّها نحت منحى المتكلمين في تأويل صفات الله تعالى، وبالأخص المعتزلة.

كلمات مفتاحية: تأويل، القرآن، الصفات، الإباضية، أهل السنة.

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أمّا بعد:

إنّ الخوارج – كغيرهم من الفرق الضّالّة – اعتقدوا أمورًا فاسدة بالعقل والهوى، ثمّ أخذوا يبحثون عن دليل يدعم رأيهم ويؤيّد فكرتهم، فعمدوا إلى التّأويل المذموم، وحملوا ظواهر النّصوص على معان بعيدة تخالف الفهم الصّحيح، والذّي يقرأ في تأويلات الخوارج، يرى أنّ هذا المنهج قد سيطر على أفكارهم، فأصبحوا لا ينظرون إلى القرآن إلّا على ضوئه، ولا يدركون شيئًا من معانيه إلّا تحت تأثير سلطانه، ولا يأخذون منه إلّا بقدر ما ينصر مبادئهم ويدعو إليها.

والإباضيّة – وهي فرقة من فرق الخوارج – ساروا في ركب المتأوّلة؛ فحاولوا إخضاع النّصوص لصالح معتقداتهم، من خلال كتب التّفسير، وهذا هو حال أهل الأهواء والبدع، يقول الشّاطبيّ رحمه الله: "فالمبتدع من هذه الأمّة إنّما ضلّ في أدلّتها حيث أخذها مأخذ الهوى والشّهوة، لا مأخذ الانقياد تحت أحكام اللّه، وهذا هو الفرق بين المبتدع وغيره، لأنّ المبتدع جعل الهوى أوّل مطالبه، وأخذ الأدلّة بالتّبع"[1]، ولأهمية هذا الموضوع عزم الباحثان على دراسة جانب مهم من جوانب العقيدة، وهو ما يتعلق بتأويلات الإباضية للصفات الإلهية من خلال تفاسيرهم.

مشكلة البحث: تتمثل مشكلة البحث في عدة أمور، منها:

1. هل الإباضية من الخوارج؟
2. ما مدى مخالفة الإباضية لأهل السنة والجماعة؟
3. هل تأثروا بالفرق الكلامية؟
4. هل اعتمدوا على التأويل الفاسد لإثبات عقائدهم في الصفات؟

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى:

1. التحقيق في صحة نسبة الإباضية إلى الخوارج، وتوضيح العلاقة بينهما.
2. بيان مدى مخالفة الإباضية لأهل السنة والجماعة، ومدى تأثرهم بالفرق الكلامية.
3. بيان جناية التأويل الفاسد على عقيدة الإباضية في الصفات الإلهية.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في:

1. إلقاء الضوء على حقيقة الإباضية خاصة وأنّ بعض الباحثين نسبهم إلى أهل السنة والجماعة ونفى علاقتهم بالخوارج، في حين نسبهم علماء الفرق والسير والتاريخ إلى الخوارج.
2. إضافة بصمة في تصحيح التأويلات الفاسدة عند الإباضية وعلى وجه الخصوص في تفاسيرهم المعتمدة.
3. مساعدة الباحثين في مجال التفسير على تخطي التأويلات العقدية الفاسدة والتنبّه لها في تفاسير الإباضية.

حدود البحث:

يقتصر البحث على تأويلات الإباضية لآيات الصفات في تفاسيرهم، وبما أنّ هذه التفاسير بعضها مفقود، وبعضها لمؤلف واحد؛ فسينحصر هذا البحث في التفاسير التالية:

1. (تفسير كتاب الله العزيز) لهود بن محكّم الهوّاري، المتوفى سنة 200هـ.
2. (التفسير الميسر للقرآن الكريم) لسعيد الكندي النزوي، المتوفى سنة 1207هـ.
3. (همیان الزاد إلى دار المعاد) لمحمد بن يوسف اطفيّش، المتوفى سنة 1332هـ.
4. (في رحاب القرآن) للشيخ إبراهيم بيوض، المتوفى سنة 1401هـ.
5. (جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل) لأحمد بن حمد الخليلي – مفتي سلطنة عُمان –.

[1] الشاطبي: الاعتصام (234/1).

منهج البحث:

البحث يحتّم التنويع في مناهج البحث، لتشعبه وتداخل موضوعاته؛ لذا لجأ الباحثان إلى المناهج التالية:

1. **المنهج التاريخي:** والذي سيحدد الباحثان من خلاله علاقة الإباضية بالخوارج، ومدى تأثرهم بالفرق الكلامية.
2. **المنهج الاستقرائي:** وذلك من خلال تتبع آيات الصفات التي يستدل بها الإباضية لإثبات عقائدهم.
3. **المنهج التحليلي:** فلا بد من الخوض في التفاصيل الدقيقة وتحليلها من خلال القرائن والبراهين.
4. **المنهج النقدي:** الذي سيظهر من خلاله مدى موافقة أو مخالفة الإباضية في تأويلاتهم لآيات الصفات.

الدارسات السابقة:

لقد تعددت الدارسات المتعلقة بالإباضية، ولكن في حدّ ما اطلع عليه الباحثان من دراسات لم يجدا دراسة ضمن الإطار المحدد لهذا البحث، وقد وقف الباحثان على رسالة: (التأويل الكلامي عند الإباضية– دراسة وتحليل)، للباحث عبد الله بن علي الطعيمي، وهي رسالة ماجستير تمت مناقشتها في جامعة الملك سعود بالرياض، وقد ركّزت الدراسة على الكتب العقدية عند الإباضية، كما أنّها ناقشت عدة مسائل عقدية مع ذكر نماذج متفرقة عليها، وهنا يظهر تميّز هذا البحث، والذي سيركز على التفاسير الإباضية بشكل خاص وما ذهبوا إليه من تأويلات للصفات الإلهية بشكل تفصيلي وأكثر عمقًا.

خطة البحث: يتكون البحث من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، مرتبًا على النحو التالي:

المقدمة: وتشتمل على: مشكلة البحث، وأهدافه، وأهميته، وحدوده، ومنهجه، والدراسات السابقة، والخطة.

المبحث الأول: التأويل تعريفه وأنواعه ومخاطره. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حقيقة التأويل.

المطلب الثاني: أنواع التأويل.

المطلب الثالث: مخاطر التأويل.

المبحث الثاني: التعريف بالإباضية وأهم عقائدها وصلتها بالخوارج. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: النسبة والتسمية.

المطلب الثاني: نشأتهم وعلاقتهم بالخوارج.

المطلب الثالث: آراؤهم الاعتقادية.

المبحث الثالث: التعريف بتفاسير الإباضية. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بتفاسيرهم.

المطلب الثاني: منهجهم في التفسير.

المطلب الثالث: أهم المزايا والمؤاخذات على تفاسيرهم.

المبحث الرابع: تأويلاتهم في صفات الله. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قولهم أنّ الصفات عين الذات.

المطلب الثاني: موقفهم من إثبات الصفات.

المطلب الثالث: نماذج من تأويلاتهم لآيات الصفات.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: التأويل تعريفه وأنواعه ومخاطره

المطلب الأول: حقيقـــــة التـأويـــل:

أولًا: معنى التأويل في اللغة: أورد علماء اللغة العربية في معاجمهم عدّة معانٍ للتأويل، ومن هذه المعاني: الرجوع والعودة[1]، والجمع والردّ[2]، والعاقبة والمصير[3]، وابتداء الأمر وانتهاؤه[4]، والتفسير[5]. ولكلّ هذه المعاني تناسب وجيه: فالرجوع والعودة؛ لأنّ فيه الرجوع إلى الأصل[6]، والجمع والردّ؛ لأنّ فيه جمع معانٍ مشكلة بلفظٍ واحد[7]،والعاقبة والمصير؛ لأنه يُظهر غايته المقصودة منه[8]، وابتداء الأمر وانتهاؤه؛ لأنّ هناك ترابط بين الأصل والعاقبة، والتفسير؛ لأنّه تفسيرُ الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصحُّ إلا ببيان غيرِ لفظه[9].

ثانيًا: معنى التأويل في الاصطلاح: يُطلق التأويل في اصطلاح السلف على معنيين اثنين:

1. الحقيقة التي يؤول إليها الكلام: وهو نفس المراد بالكلام، فإنّ الكلام إن كان طلبًا كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبرًا كان تأويله نفس الشيء المخبر به[10]. وممّا يدل على ذلك: قوله تعالى: "هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ" [الأعراف: 53]. يقول الطبري: "إلا ما يؤول إليه أمرهم من ورودهم على عذاب الله، وصليهم جحيمه"[11].

2. التفسير والبيان: وهو اصطلاح كثيرٍ من المفَسّرين، وقد سمَّى ابن جرير الطبري تفسيرَه: (جامِعَ البيانِ عن تأويلِ آيِ القُرآنِ)، ويقولُ عند تفسيرِ كُلِّ آيةٍ أو بعضِ آيةٍ: القَولُ في تأويلِ قَولِه تعالى كذا. وممّا يدل على ذلك: قوله تعالى: "سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ"، أَيْ: بتفسير[12]. وجاء في مجاز القرآن: "التأويل: التفسير"[13].

أما عن التأويل في اصطلاح المتأخرين: من المتفقهة والمتكلمة والمُحدثة والمتصوفة ونحوهم: هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به[14]. هذا التعريف لم يرد عند المتقدمين، وهو مفهوم دخيل على لغة العرب، ولم يدلّ عليه قرآن ولا سنة، وقد كان هذا التعريف هو مدخل لكثير من المتكلمة لتعطيل النصوص تحت اسم التأويل، يقول ابن القيم: "وأمّا المعتزلة والجهمية وغيرهم من فرق المتكلمين فمرادهم بالتأويل صرف اللفظ عن ظاهره وحقيقته إلى مجازه وما يخالف ظاهره، وهذا هو الشائع في عرف المتأخرين من أهل الأصول والفقه"[15].

المطلب الثاني: أنـــواع التـــأويـــل:

ينقسم التأويل من حيث الصحة والفساد إلى قسمين:

القسم الأول: التأويل الصحيح:

---

(1) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (159/1)، وابن منظور، لسان العرب: (32/11)، والراغب الأصفهاني، المفردات: (ص 99).

(2) انظر: الأزهري، تهذيب اللغة: (329/15)، وابن منظور، لسان العرب: (33/11).

(3) انظر: الأزهري، تهذيب اللغة: (330/15)، وابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (162/1).

(4) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (158/1).

(5) انظر: الفراهيدي، العين: (369/8)، والأزهري، تهذيب اللغة: (135/3)، والجوهري، الصـــحاح: (1627/4)، وأبو عبيدة البصـــري، مجاز القرآن: (86/1).

(6) انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات: (ص 99).

(7) انظر: الأزهري، تهذيب اللغة: (329/15).

(8) انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات: (ص 99).

(9) انظر: الفراهيدي، العين: (369/8).

(10) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى: (289/13).

(11) الطبري، جامع البيان: (240/10).

(12) انظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير: (184/5).

(13) أبو عبيدة البصري، مجاز القرآن: (86/1).

(14) انظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير: (288/13).

(15) ابن القيم، الصواعق المرسلة: (178/1).

إنّ التأويل الوارد في الشرع وعلى ألسنة أهل اللغة المتقدمين لا شكّ في صحته ووضوحه، أما التأويل الذي يُذكر في اصطلاح المتأخرين فهو الذي يحتاج إلى العرض على القرآن والسنة وعُرف السلف الصالح، فما كان عليه دليل شرعي صحيح صريح فهو التأويل الصحيح، وهو الذي لا يخالف التأويل المعروف عند السلف[1]. وحتى يكون صحيحًا مقبولًا، **لا بد أن يخضع للضوابط الآتية:**

1. أن يكون التأويل موافقًا للغة العرب وعرف الاستعمال: وهذا ما أكّده ابن حزم[2]، فكل معنى مستنبط من القرآن غير جار على اللسان العربي؛ فليس من علوم القرآن في شيء، لا مما يستفاد منه، ولا مما يستفاد به، ومن ادعى فيه ذلك؛ فهو في دعواه مبطل[3].

2. أن يقوم التأويل على دليلٍ صحيحٍ راجحٍ على ظهور اللفظ في مدلوله: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في شروط صرف اللفظ عن ظاهره: "أن يكون معه دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه.. فلا بد له من دليل قاطع عقلي أو سمعي يوجب الصرف، وإن ادعى ظهور صرفه عن الحقيقة فلا بد من دليل مرجح للحمل على المجاز"[4].

3. أن يوجد سبب موجب للتأويل: بأن يكون ظاهر النص مخالفًا لقاعدة مقررة معلومة من الدين بالضرورة، أو مخالفًا لنص أقوى منه سندًا أو يكون النص مخالفًا لما هو أقوى منه دلالة[5]. وتبقى هذه الموجبات المذكورة على أهميتها وخطورتها في إحداث التأويل وفرض حالته على الظاهر، لا تمثل الأصل ولا تعكس قاعدة العمل، فالقاعدة توجب الأخذ بالظاهر والتمسك بمقتضاه، وعدم جواز حمله على خلاف ظاهره الراجح ما لم يوجد موجب من موجبات الحمل.

4. أن يكون المؤوّل أهلًا للتأويل: فالمتعامل مع المحتمل في النص الشرعي لا يواجه أمرًا سهلًا، وإنّما عملًا شاقًّا يتطلب عدة علمية وشروطًا مؤهلة للاجتهاد فيه، وبيّن الطاهر ابن عاشور أنّ أهلية المؤوّل تجعل من المستحيل عليه أن يزيغ بالنص يمينًا أو شمالًا، وتمنعه من استخدام النص في غير ما وضع له ودلّ عليه، كما أنّ غير المؤهل لا يستطيع اقتحام ميدان التأويل، وإذا حدث وفعل اكتشف أمره، واعتبر متطفلًا على العلم[6].

5. ألا يتعارض التأويل مع نصوص قطعية الدلالة: وهذا ما نصّ عليه الشاطبي حيث قال: "وقد علم العلماء أن كل دليل فيه اشتباه وإشكال ليس بدليل في الحقيقة، حتى يتبين معناه ويظهر المراد منه، ويشترط في ذلك ألا يعارضه أصل قطعي، فإذا لم يظهر معناه لإجمال أو اشتراك، أو عارضه قطعي؛ كظهور تشبيه؛ فليس بدليل؛ لأن حقيقة الدليل أن يكون ظاهرًا في نفسه، ودالًا على غيره، وإلا احتيج إلى دليل عليه، فإن دل الدليل على عدم صحته؛ فأحرى ألا يكون دليلًا"[7].

القسم الثاني: التأويل الفاسد:

وهو الذي يُخالف ما دلّت عليه النصوصُ وجاءت به السُنَّة، ويمكن القول أنّه: صرف اللفظ عن ظاهره إلى المحتمل المرجوح من غير دليل، أو بدليلٍ لا يصيّره راجحًا[8].

المطلب الثالث: مخاطر التأويل: والمراد هنا التأويل الفاسد:

---

[1] انظر: محمد لوح، جناية التأويل الفاسد: (ص 12).

[2] انظر: ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام: (42/1).

[3] انظر: الشاطبي، الموافقات: (224/4).

[4] ابن تيمية، مجموع الفتاوى: (360/6).

[5] انظر: أبو زهرة، أصول الفقه: (ص 136).

[6] انظر: ابن عاشور، التأويل عند المفسرين من السلف: (ص 163).

[7] الشاطبي، الاعتصام: (305/1).

[8] انظر: محمد لوح، جناية التأويل الفاسد: (ص 18 – 19).

1. **عدم تعظيم النصـوص الشـرعية:** وقد صـوّر ابن القيم حال المتأولة في التعامل مع النصـوص، فقال: "المحظور الرابع: تلاعبهم بالنصـــوص وانتهاك حرماتها، فلو رأيتَها وهم يلوكونها بأفواههم وقد حلت بها المثلات، وتلاعبت بها أمواج التأويلات، وتقاذفت بها رياح الآراء، واحتوشـتها رماح الأهواء، ونادى عليها أهل التأويل في سـوق من يزيد، فبذل كل واحد في ثمنها من التأويلات ما يريد، فلو شـاهدتها بينهم وقد تخطفتها أيدي الاحتمالات، ثم قيدت بعدما كانت مطلقة بأنواع الإشـكالات، وعزلت عن سلطنة اليقين، وجعلت تحت حكم تأويل الجاهلين"[1].

2. **الحيرة والشك والاضراب والتناقض:** والمقصود أن أهل الكلام متناقضون ومضطربون في موقفهم مما يثبت أو ينفى من الأدلة النقلية، فلا تكاد تسلم لهم قاعدة في ذلك، وهذا من أعظم العبر على ضلال البشر، وتخبط الفكر حين تزهد في شرع ربها، وتظن الكمال في عقولها، قال شيخ الإسلام: " فكل من أعرض عن الطريقة السلفية الشرعية الإلهية، فإنّه لا بد أن يضل ويتناقض، ويبقى في الجهل المركب أو البسيط"[2].

3. **الاعتقاد أنّ في نصـوص الشـرع ما ظاهره البطلان والكفر:** فالمتأولة اعتقدت أنّ ظاهر النصـوص فيه دلالة على التشـبيه وهذا التصـور دفعهم إلى التعطيل، وقد صـرّح الرازي بذلك فيقول: "قال المتكلمون: لما ثبت بالدليل أنه سـبحانه وتعالى منزه عن الجهة والجسمية، وجب علينا أن نضـع لهذه الألفاظ الواردة في القرآن والأخبار محملًا صـحيحًا؛ لئلا يصـير ذلك سببًا للطعن فيه"[3].

4. **اتهام الشـرع بكتمان الحق:** فلو أراد الله ورسـوله من كلامه خلاف حقيقته وظاهره الذي يفهمه المخاطب، لكان قد كلفه أن يفهم مراده بما لا يدل عليه، بل بما يدل على نقيض مراده، وأراد منه فهم النفي بما يدل على غاية الإثبات وفهم الشيء بما يدل على ضده[4].

5. **التأويل الفاسد أصل كل بدعة:** لقد فتح المتأولة الباب على مصراعيه لأهل الشرك والإلحاد والبدع لإفساد دين الله، يقول ابن أبي العز مخاطبًا أهل التأويل: "قد فتحتم عليكم بابًا لأنواع المشركين والمبتدعين، لا تقدرون على سده، فإنّكم إذا سوغتم صرف القرآن عن دلالته المفهومة بغير دليل شرعي، فما الضابط فيما يسوغ تأويله وما لا يسوغ؟ فإن قلتم: ما دل القاطع العقلي على استحالته تأولناه، وإلا أقررناه! قيل لكم: وبأي عقل نزن القاطع العقلي؟ فإنّ القرمطي الباطني يزعم قيام القواطع على بطلان ظواهر الشرع! ويزعم الفيلسوف قيام القواطع على بطلان حشر الأجساد! ويزعم المعتزلي قيام القواطع على امتناع رؤية الله تعالى... وباب التأويلات التي يدعي أصحابها وجوبها بالمعقولات أعظم من أن تنحصر في هذا المقام"[5].

المبحث الثاني: التعريف بالإباضية وأهم عقائدها وصلتها بالخوارج

المطلب الأول: النسـبـة والتسميـــة:

[1] ابن القيم، الصواعق المرسلة: (297/1).

[2] ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل: (356/3).

[3] الفخر الرازي، أساس التقديس: (ص 109).

[4] انظر: ابن القيم، الصواعق المرسلة: (310/1).

[5] ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية: (257/1).

الإباضية هم أتباع عبد الله بن إباض[1] كما ذكر علماء الفرق، وهذا ما ذكره – أيضًا – علماء التاريخ والتراجم، وكذلك أصحاب اللغة والمعاجم[2].

أما المصادر الإباضية – المتأخرة منها – فتنسِب إلى عبد الله بن إباض دورًا ثانويًا بالمقارنة مع جابر بن زيد[3] الأزدي، الذي تعتبره إمام الإباضية ومؤسس فقههم ومذهبهم[4]. وذكروا في سبب نسبة الإباضية إلى عبد الله بن إباض؛ شهرة مواقفه من الحكام المخالفين لهم، وأضاف بعض مؤرخي الإباضية أنّ ابن إباض كان أكثر ظهورًا في الميدان السياسي عند الدولة الأموية[5].

وادّعاء الإباضية نسبتهم إلى جابر بن زيد لا يصح، قال ابن عبد البر: "انتحلته الإباضية وادّعته وأسندت مذهبها إليه، وهذا لا يصح عليه"[6]، وإنّما جاء ذكر جابر بن زيد عند الإباضية من خلال رجوع ابن إباض إليه، وتعويله عليه في بعض الآراء والفتاوى، فحلا لهم أن يتشبثوا به؛ ليكون في إمامته وفضله وشهرته مرتكزًا وموثقًا لهم.

وقد أنكر جابر نسبة الإباضية له وتبرأ منهم، فعن عزْرَة الكُوفيّ قال: قلتُ لجابر بن زيد إنّ الإباضيّة يزعمون أنّك منهم، قال: "أبرأ إلى الله منهم"[7].

المطلب الثاني: نشأة الإباضية وعلاقتهم بالخوارج:

ترتبط نشأة الإباضية ارتباطًا وثيقًا بنشأة الخوارج؛ فهي فرع عنها، ومن المعلوم أنّ عليّ بن أبي طالب τ قاتل الخوارج في معركة النهروان، وقضى عليهم، ولم ينج منهم عدد قليل، والذي يهم أنّ الذين نَجَوا من معركة النهروان هم نواة الخوارج في البلاد[8].

تفرّق الخوارج بعد ذلك، وقد وصف ابن كثير حالهم، فقال: "تفرقوا – الخوارج – بأبدانهم وأديانهم ومذاهبهم ومسالكهم المختلفة المنتشرة، التي لا تنضبط ولا تنحصر؛ لأنها مفرعة على الجهل وقوة النفوس، والاعتقاد الفاسد، ومع هذا استحوذوا على كثير من البلدان والكور، حتى انتزعت منهم بعد ذلك"[9].

---

[1] اضطرب المؤرخون في سيرته وتاريخ وفاته، ويُرجَّح أنها كانت سنة ست وثمانين للهجر، وكان مع نافع بن الأزرق ثم اختلف معه وفارقه، وقيل إنّه رجع عن بدعته فتبرأ أصحابه منه واستمرت نسبتهم إليه. انظر: الطبري، تاريخ الطبري: (568/5)، وابن الأثير، الكامل: (255/3-256)، والزركلي، الأعلام: (61/4).

[2] انظر: البغدادي، الفرق بين الفرق: (ص82)، والإسفراييني، التبصير في الدين: (ص58)، والشهرستاني، الملل والنحل: (134/1)، والفخر الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: (ص51)، والسفاريني، لوامع الأنوار البهية: (88/1)، والذهبي، تاريخ الإسلام: (33/25)، والزركلي، الأعلام: (61/4)، وابن منظور، لسان العرب: (111/7).

[3] جابر بن زيد: تابعي ثقة من الطبقة الثانية، اتفقوا على توثيقه وجلالته، توفي سنة 93هـ وقيل: 103هـ. انظر: ابن حبان، الثقات: (101/4)، والبخاري، التاريخ الكبير: (708/2)، وابن سعد، الطبقات الكبرى: (182/9).

[4] انظر: خليفات، نشأة الحركة الإباضية: (ص79).

[5] انظر: معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية: (177/1).

[6] ابن عبد البر، الاستغناء: (945/2).

[7] انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى: (181/9)، والبخاري، التاريخ الكبير: (99/4).

[8] انظر: الطبري، تاريخ الطبري: (82/5 – 87)، والبغدادي، الفرق بين الفرق: (ص61)، والشهرستاني، الملل والنحل: (117/1)، وابن الأثير، الكامل: (692/2 – 695).

[9] انظر: ابن كثير، البداية والنهاية: (667/11).

ومن بين هذه الفرق المتفرقة فرقة الإباضـــية التي اتفق علماء الفرق والسِـــيَر والتاريخ على اعتبارها فرقة من فرق الخوارج[1]، بل عدّها أبو الحســن الأشــعري إحدى فرق الخوارج الرئيســية الكبرى، فيقول: "وأصــل قول الخوارج إنما هو قول الأزارقة والإباضية والصفرية والنجدية"[2].

أما علماء الإباضــية فهم يرون أنّ الإباضــية مذهب ليس له علاقة بالخوارج[3]؛ مع أنّهم يوالون المحكّمة الأولى وأهل النهروان ويدافعون عنهم ويؤيدون خروجهم[4]، بل ويضعونهم في أعلى المراتب، فيقول الشماخي في واقعة النهروان: "وقُتل فيها خيار من على وجه الأرض"[5].

ويرى بعض المؤرخين أنّ الإباضية وإن كانوا من الخوارج إلا أنّهم أكثر اعتدالًا من غيرهم، وأبعدهم عن الغلو والتطرف، يقول المبرد: "وقول عبد الله بن إباض، وهو أقرب الأقاويل إلى الســنة من أقاويل الضــلال"[6]. في المقابل يرى آخرون أنّ الإباضــية من غلاة الخوارج، فيقول الملطي: "الفرقة الخامسة من الخوارج هم الإباضــية.. خرجوا من سواد الكوفة فقتلوا الناس وسبوا الذرية وقتلوا الأطفال وكفّروا الأمة وأفسدوا في العباد والبلاد"[7].

والحقيقة أنّ الإباضــية متعصــبون جدًا لمذهبهم، ويرون أنّ كل المذاهب الأخرى باطلة، يقول العيزابي: "تقول معشــر الإباضية الوهبية: الحقّ ما نحن عليه، والباطل ما عليه خصومنا؛ لأنّ الحق عند الله واحد، ومذهبنا في الفروع صواب يحتمل الخطأ، ومذهب مخالفينا خطأ يحتمل الصــدق"[8]. ويعدّ الوارجلاني[9] كل من خالف مذهبهم من أهل النار، فيقول: "فإن قال قائل: هذه أمة أحمد ε قد قضيتم عليها بالهلاك وبالبدعة والضلال، وحكمتم عليها بدخول النار ما خلا أهل مذهبكم، قلنا: إنما قضاه رسول الله ε لا نحن"[10].

والخلاصــة: إنّ ما تدعمه الأدلة التاريخية والمصــادر الموثوقة تجزم بأنّ الإباضــية فرقة من فرق الخوارج، تحمل الكثير من أفكارها؛ فهي تتولى المحكمّة وأهل النهروان الذين خرجوا على الخليفة الراشد عليّ بن أبي طالب τ وكفرّوه وقاتلوه[11]؟! كما أنّ هناك من علماء الإباضية من يعدّ الإباضية من الخوارج[12].

ويكفي للدلالة على العلاقة الوثيقة بين الإباضية والخوارج ما جاء في رسالة ابن إباض لعبد الملك بن مروان من ثناء وتأييد للخوارج الذين خرجوا على الخلفاء الراشدين، فيقول: "وكتبتَ إليّ تُعرِّض بالخوارج وتزعم أنّهم يغلون في دين الله، ويتبعون غير سبيل المؤمنين، ويفارقون أهل الإسلام، وأنا أبيّن لك سبيلهم... قد علم من عرفهم وعرف حالهم أنّهم كانوا أحسن عملًا وأشد

---

(1) انظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين: (95/1)، والبغدادي، الفرق بين الفرق: (ص18)، والملطي، التنبيه والرد: (ص52)، وابن حزم، الفصل: (145/4)، والإسفراييني، التبصير: (ص58)، والشهرستاني، الملل والنحل: (134/1)، والمبرد، الكامل في اللغة والأدب: (201/3)، والطبري، تاريخ الطبري: (568/5)، وابن الأثير، الكامل: (324/4)، والذهبي، تاريخ الإسلام: (190/9).

(2) الأشعري، مقالات الإسلاميين: (95/1).

(3) انظر: إبراهيم اطفيش، الفرق بين الإباضية والخوارج: (ض35–36)، ومعمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية: (18/1–20).

(4) انظر: معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية: (278/2–279)، والسيابي، أصدق المناهج في تمييز الإباضية من الخوارج: (ص25).

(5) انظر: الشماخي، السير: (52/1–53).

(6) المبرد، الكامل في اللغة والأدب: (211/3).

(7) الملطي، التنبيه والرد: (ص52).

(8) العيزابي، الحجة في بيان المحجة في التوحيد: (ص 37)، نقلًا عن: العواجي، الخوارج: (ص179).

(9) يوسف بن إبراهيم بن مياد الورجلاني، أبو يعقوب: عالم بأصول الفقه، إباضي، رحل في شبابه إلى الأندلس، وسكن قرطبة، ورأى "مسند الربيع بن حبيب " مشوشًا، فرتبه وسمّاه "الجامع الصحيح" ومن كتبه: "الدليل والبرهان" في عقائد الإباضية. انظر: الأعلام للزركلي: (212/8–213).

(10) الوارجلاني، الدليل والبرهان: (49/1–50).

(11) الشهرستاني، الملل والنحل: (115/1).

(12) انظر: المصعبي، كتاب معالم الدين: (231/2).

قتالًا في سبيل الله، هذا خبر الخوارج، شهد الله والملائكة أنا لمن عاداهم أعداء، ولمن والاهم أولياء بألسنتنا وأيدينا وقلوبنا، نعيش على ذلك ما عشنا، ونموت عليه إذا متنا، ونُبعث عليه عند ربنا"[1].

فهل بعد هذه الكلمات من شك بأنّ ابن إباض الذي تنتمي إليه الإباضية كان من زعماء الخوارج ويوافقهم في أصولهم الكبيرة المعروفة في زمانه؟!

أما بخصوص موقف الإباضية من المخالفين لهم فإنّ موقفهم لا ينحو منحى المرونة دائمًا، بل قد يلجؤوا إلى الغلو والتشدد المعهود من الخوارج، يقول أبو الحسن الأشعري في سرده لعقائد الإباضية: "وقالوا جميعًا إن الواجب أن يستتيبوا من خالفهم في تنزيل أو تأويل فإن تاب وإلا قتل، كان ذلك الخلاف فيما يسع جهله أو فيما لا يسع جهله"[2]، وتاريخ الإباضية يشهد بالخروج على إمام المسلمين وجماعتهم وكثرة ثوراتهم، وهذا ما ذكرته مصادر الإباضية[3].

المطلب الثالث: آراء الإباضية الاعتقادية:

1. **عقيدتهم في الإيمان:** ترى الإباضة أنّ الإيمان جميع ما افترض الله على خلقه، وترك جميع ما نهى الله عنه، يقول أبو عمار الإباضي: "الإيمان هو جميع ما أمر الله به عباده، وتعبدهم به من فعل جميع ما افترض عليهم من الفرائض، وترك جميع ما نهاهم عنه من المعاصي... فمن استكمل ذلك سُمي مؤمنًا، ومن لم يستكمل ذلك واقتصر على فعل التوحيد دون الفرائض وترك المعاصي بطل أن يُسمّى مؤمنًا"[4]. ويقول السالمي: "الإيمان هو الوفاء بجميع الواجبات فمن وجب عليه فرض لا يكون مؤمنًا حتى يؤديه على وجهه"[5]. وبهذا يتبيّن أنّ الإيمان عندهم – كما هو الحال عند عامة الخوارج – هو المعرفة بالقلب والإقرار باللسان والعمل بكل ما جاء به الشرع، فالإيمان لا يتجزأ عندهم، فإمّا أن يأتي به الشخص كاملًا فيُسمى مؤمنًا، أو ينقص منه بعض الأعمال فيخرج عن الإيمان، وبهذا ذهبوا إلى تكفير أهل الذنوب.

أما مسألة زيادة الإيمان ونقصانه: فقد اختلف الإباضية في ذلك، فمنهم من يرى أنّ الإيمان يزيد وينقص[6]، ومنهم من يرى أنّ الإيمان يزيد ولا ينقص؛ وحجتهم أنّه إذا انتقص منه شيء بطل كله[7]. وذهب فريق ثالث إلى التفصيل، فقالوا بأنّ الإيمان الذي يزيد ولا ينقص هو الإيمان الاعتقادي؛ لأنه – حسب معتقدهم – إذا انهدم بعضه انهدم كله، وأنّ الإيمان الذي يزيد وينقص هو الإيمان العملي، وقد أيّد الخليلي – مفتي سلطنة عُمان – هذا التوجيه، وعدّه مذهب له أصالته في العقيدة[8]. وهذا في الحقيقة توجيه فاسد، والذي عليه أهل السنة والجماعة أنّ الإيمان يزيد وينقص سواء أكان الإيمان اعتقاديًا أو عمليًا[9].

2. **عقيدتهم في صفات الله تعالى:** تعتقد الإباضية أنّ صفات الله Y هي عين ذاته المقدسة، جاء في كتاب أصول الدين: "وخلاصة القول أنّ الله واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، وأنّ ذات الله وصفاته شيء واحد"[10]. وهذا في حقيقته نفي لصفات الله تعالى، والصفات عندهم أمور اعتبارية ليست حقيقة، يُراد بها نفي أضدادها من النقائص المنزه عنها سبحانه، أو أنّها اعتبارية بحسب تجليات أعيان الوجود وتأثيرها وانفعالها للذات الإلهية[11]. كما وترى الإباضية أنّ الصفات الفعلية مخلوقة

---

[1] البرادي، الجواهر المنتقاة: (ص183).

[2] الأشعري، مقالات الإسلاميين: (98/1).

[3] انظر: الباروني، مختصر تاريخ الإباضية: (ص32–50).

[4] أبو عمار، الموجز: (91/2–92).

[5] السالمي، بهجة الأنوار: (ص292).

[6] انظر: معمر، الإباضية بين الفرق: (243/2).

[7] انظر: الرستاقي، منهج الطالبين: (574/1).

[8] انظر: السالمي، مشارق أنوار العقول: الحاشية (204/2)، وانظر: السمائلي، أصدق المناهج: (ص33).

[9] انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى: (480/6).

[10] تبغورين، أصول الدين: (ص 31).

[11] انظر: سعيد بن خلفان، تمهيد قواعد الإيمان: (ص414–415).

محدثة[1]. أمّا الصفات الخبرية فذهبوا إلى وجوب صرفها عن ظاهرها[2]، يقول علي معمر الإباضي: "الإباضية أوّلوا الكلمات الموهمة للتشبيه بما يؤدي المعنى ولا ينافي كمال الله"[3]. وهم في ذلك يوافقون المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية والجهمية المريسية، وترى الإباضية أنّ كل من يُثبِت لله Y هذه الصفات كان من المشبهة والمجسمة[4].

3. عقيدتهم في القرآن: تقول عامة الإباضـية بأنّ القرآن مخلوق وليس كلام الله[5]، حالها حال الخوارج، فكل الخوارج يقولون بخلق القرآن، وبهذا قالت الجهمية والمعتزلة والقدرية وأكثر الزيدية والمرجئة وكثير من الرافضة[6].

جاء في كتاب "أصول الدين": "وفيما أجمعنا عليه نحن – يعني الإباضية – وإيّاهم.. على تناسخه وتغايره وانعداده؛ ما يثبت أنّه مخلوق كمثله من المخلوقات كلها"[7]. وجاء في كتاب "الدليل والبرهان": "وندين بأنّ الله خالق وما سـواه مخلوق، وأنّه خالق لوحيه وكلامه، وجاعل له، ومحدث له"[8]. وقد عقد الخليلي فصـــلًا كاملًا في كتابه "الحق الدامغ" في تقرير القول بخلق القرآن[9].

4. **عقيدتهم في مرتكب الكبيرة:** ترى الإباضـــية أنّ حكم مرتكب الكبيرة في الدنيا كافر كفر نعمة أو كفر نفاق، وفي الآخرة خالد مخلد في النار[10]، وبهذا تكون الإباضية وافقت المعتزلة وسائر الخوارج. يقول الخليلي: "وعقيدتنا معشر الإباضية أنّ كلًّا من عصـاة الموحدين والمشركين مخلدون فيها إلى غير أمد"[11]. وترى الإباضـية أنّ مرتكب الكبيرة إن لم يتب منها أو لم يقم عليه حدّها، قد أُحبطت الطاعات التي قام بها[12].

5. عقيدتهم في الشـفاعة: أنكرت الإباضـية الشفاعة لأهل الكبائر من أمة محمد ε، ويحصـر الإباضـية هذه الشفاعة بالأتقياء من المكلفين[13]. يقول السـالمي: "شـفاعة نبينا ε مقصـورة على التقي من المكلفين، والتقي هو من جانب المحرمات وأدى الواجبات، فلا شـفاعة لغيره من الأشـقياء"[14]. والشـقي عنده: "من مات مصـرًّا على كبيرة"[15]. وبهذا يتفق الإباضـية في هذه المسألة مع المعتزلة وسائر الخوارج، وما ذهب إليه الإباضية في مسألة الشفاعة ما هو إلا انسجام مع معتقدهم في تخليد مرتكب الكبيرة في النار.

---

[1] انظر: الرستاقي، منهج الطالبين: (350/1).

[2] انظر: طعيمة، الإباضية عقيدة ومذهبًا: (ص96).

[3] معمر، الإباضية بين الفرق: (114/2).

[4] انظر: الوارجلاني، الدليل والبرهان: (45/1–46) (58/1).

[5] انظر: معمر، الإباضية بين الفرق: (122/2).

[6] انظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين: (99/1) (420/2).

[7] تبغورين، أصول الدين: (ص189).

[8] الوارجلاني، الدليل والبرهان: (61/2).

[9] انظر: الخليلي، الحق الدامغ: (ص97–181).

[10] انظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين: (100/1)، والبغدادي، الفرق بين الفرق: (ص97)، وابن حزم، الفصل: (128/3).

[11] الخليلي، الحق الدامغ: (ص 191).

[12] انظر: السعدي، قاموس الشريعة: (3/6).

[13] انظر: السالمي، مشارق أنوار العقول: (132/2–133)، والسعدي، قاموس الشريعة: (506/5)، والرستاقي، منهج الطالبين: (520/1)، والباروني، مختصر تاريخ الإباضية: (ص66).

[14] السالمي، مشارق أنوار العقول: (132/2).

[15] المصدر السابق: (134/2).

6. عقيدتهم في رؤية الله عز وجل يوم القيامة: تُنكر الإباضية قاطبة رؤية الله عز وجل يوم القيامة[1]، يقول الربيع بن حبيب في مسنده في قوله تعالى: "لَنْ تَرَانِي": "أي: لن يراه أحدٌ في الدنيا ولا في الآخرة"[2]، وقد عقد السالمي في كتابه "مشارق أنوار العقول" فصلًا كاملًا في نفي الرؤية[3]، وكذلك فعل مفتي سلطنة عُمان الشيخ أحمد الخليلي في كتابه "الحقّ الدامغ"، ومما جاء فيه: "وذهب إلى استحالتها في الدنيا والآخرة أصحابنا – الإباضية – وهو قول المعتزلة والجهمية والزيدية والإمامية من الشيعة، وبه قال جماعة من المتكلمين المتحررين من أسر التقليد"[4].

7. عقيدتهم في الميزان والصراط: ذهب جمهور الإباضية إلى إنكار حقيقة الميزان، وقالوا بأنّ المراد منه: تمييز الأعمال وتفصيلها أو العدل والإنصاف؛ معللين ذلك بأن أعمال العباد أعراضٌ وليست بأجسام[5]. وترى الإباضية أنّ ثقل الميزان وخفته استعارة تمثيلية عن ثبوت السعادة لقوم والشقاوة لآخرين؛ حيث شبّه ثبوت العمل الصالح بثقل الموازين، والعمل السيّء بخفتها[6].

وأنكر الإباضية – أيضًا – حقيقة الصراط، وقالوا بأنّ المراد منه هو دين الله الحقّ وطريقه القويم[7]. ويتشدد بعض الإباضية في الرد على من أثبت حقيقة الصراط، فيقول المصعبي: "قالت الحشوية ومن تأسى بهم: الصراط جسم ممدود على متن جهنم يراه الأولون والآخرون... فلمّا لم يثبت ما رووه، حملنا الصراط على ما نطق به التنزيل وأساغه التأويل"[8].

8. **موقفهم من الصحابة:** وقعت الإباضية في بعض أصحاب رسول الله ε الأجلاء، كما فعلت سائر الخوارج، فطعنوا في عثمان وعليّ وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم ψ[9]، وذكر علماء الفرق أنّ الإباضية كفروا عثمان وعليًّا τ ومعظم الصحابة الكرام ψ[10]. ومن أقبح ما جاء عنهم ما أورده صاحب كتاب "كشف الغمة" عن أجلاء الصحابة، حيث عثمان بن عفان τ، عليّ بن أبي طالب τ، وطلحة والزبير والحسن والحسين ومعاوية وأبو موسى الأشعري وغيرهم ψ في منزلة البراءة عند المسلمين[11].

المبحث الثالث: التعريف بتفاسير الإباضية ومنهجهم في التفسير

المطلب الأول: التعريف بتفاسيرهم:

لم يكن للخوارج من التفاسير مثل ما كان للفرق الأخرى، وتفاسير الخوارج الموجودة كلها للإباضية، ولعل السر في ذلك: أنّ جميع فِرَق الخوارج ما عدا الإباضية بادت ولم يبق لها أثر، ولعلّ انشغالهم بالحروب كان له دور في ذلك، حيث كانت حروبًا طويلة وقاسية ومتتابعة[12]. وسيتم الإشارة في هذا المطلب إلى أهم تفاسير الإباضية:

---

[1] انظر: معمر، الإباضية بين الفرق: (122/2).

[2] الربيع بن حبيب، المسند: (237/1).

[3] انظر: السالمي، مشارق أنوار العقول: (362/1–395).

[4] الخليلي، الحقّ الدامغ: (ص32).

[5] انظر: السالمي، بهجة الأنوار: (ص117)، والسعدي، قاموس الشريعة: (489/5).

[6] انظر: السالمي، مشارق أنوار العقول: (125/2).

[7] انظر: الباروني، مختصر تاريخ الإباضية: (ص17)، والسعدي، قاموس الشريعة: (486/5)، والرستاقي، منهج الطالبين: (499/1).

[8] المصعبي، معالم الدين: (190/2).

[9] انظر: الباروني، مختصر تاريخ الإباضية: (ص13–15)، والحارثي، العقود الفضية: (ص27–41).

[10] انظر: السفاريني، لوامع الأنوار البهية: (88/1)، والبغدادي، الفرق بين الفرق: (ص55)، والشهرستاني، الملل والنحل: (114/1).

[11] الإزكوي، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة: (230/2–234).

[12] انظر: محمد الذهبي، التفسير والمفسرون: (232/2–234).

أولًا: تفاسير الإباضية المفقودة والمخطوطة:

1. **(تفسير القرآن)** لعبد الرحمن بن رستم، المتوفى سنة 171هـ، ذكره البرادي في رسالته عن كتب الإباضية[1]. وهو تفسير مفقود كما تذكر المصادر الإباضية[2]، وقد ذكر الشيخ محمد الذهبي رحمه الله أنّ هذا التفسير غير موجود[3].

2. **(تفسير القرآن الكريم)** ليوسف بن إبراهيم الوارجلاني، المتوفى سنة 570هـ، يقول البرداي: "ومن ضعف بحث أهل هذا المذهب التغافل عنه حتى اندرس وذهب، ولم توجد منه عندهم نسخة واحدة"[4].

3. **(نور البيان في تفسير القرآن)** لسرحان بن سعيد الإزكوي، المتوفى سنة 1150هـ، ذكر بعضهم أنّه موجود في يد أحفاد المؤلف[5]، ولكن مع مراجعة بعض الباحثين لأحفاد الشيخ، أكدوا عدم العثور عليه[6].

4. **(حاشية أبي يعقوب المصعبي على الجلالين)** ليوسف بن محمد المصعبي، المتوفى سنة 1187هـ، لا يزال الكتاب ضمن مخطوطات المكتبة البارونية، استعان مؤلفه بتفسير البيضاوي والهواري والزمخشري، ويعتمد على كتب المذهب الإباضي، وهي حاشية ضخمة في مجلدين كبيرين، كل مجلد يقرب من 700 صفحة[7].

5. **(داعي العمل ليوم الأمل)** لمحمد بن يوسف اطفيّش الوهبي الجزائري، المتوفى سنة 1332هـ، لم يُتمّه مؤلفه؛ لأنّه عزم على أن يجعله في اثنين وثلاثين جزءًا، ثم عدل عن عزمه هذا، واشتغل بتفسير (همیان الزاد إلى دار المعاد). يبدأ بسورة الرحمن وينتهي بآخر القرآن، وهو لا زال مخطوطًا ويقع في مجلدين[8].

ثانيًا: تفاسير الإباضية المطبوعة:

1. **(تفسير كتاب الله العزيز)** لهود بن مُحَكِّم الهُوَّارِي، المتوفى سنة 200هـ، سار فيه مؤلفه على منهج الإباضية، ويعدّ أول تفسير لهم كامل عُثر عليه[9]، خرج إلى النور على يد الأستاذ بلحاج شريفي، وهو إباضي وافق المؤلف في اعتقاده، وقد ظل يعمل فيه ما يقارب عشرين سنة، وقد صرّح المحقق بأنّ تفسير هود بن محكّم ما هو إلا اختصار لتفسير ابن سلّام البصري[10]. وقد طُبع في أربعة مجلدات بدار الغرب الإسلامي في بيروت سنة 1990م.

2. **(الدراية وكنز الغناية ومنتهى الغاية وبلوغ الكفاية في تفسير خمسمائة آية)** لأبي الحواري محمد بن الحواري العُماني من أعيان القرن الثالث الهجري، يمثّل رأي مذهب الإباضية، وأصل الكتاب مأخوذ من تفسير مقاتل بن سليمان الأزدي[11]، وقد جمع فيه مؤلفه آيات الأحكام وبيّن معانيها باختصار، واندفع نحو تدعيم مذهبه الإباضي والدفاع عن مبادئه وحمل الآيات عليه، والاستدلال بما لم يثبت صحته من الأحاديث على تقوية ما يميل إليه من آراء، وقد حقق الكتاب د. محمد زناتي، وطُبع في مجلدين بمكتبة الاستقامة في عُمَان سنة 1411هـ – 1991م.

3. **(التفسير الميسر للقرآن الكريم)** لسعيد بن أحمد الكندي النزوي، المتوفى سنة 1207هـ، وهو أول تفسير كامل لمؤلِّف عُماني، وهو في حقيقته اختصار لبعض ما جاء في التفاسير على اختلاف مشاربها وتنوع عقائدها، مع إضافات من

---

(1) انظر: البرادي، رسالة في كتب الإباضية: (ص66)، ضمن دراسة في تاريخ الإباضية وعقيدتها، لمحمد عزب.

(2) انظر: محمد باباعمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية: (357/1).

(3) انظر: محمد الذهبي، التفسير والمفسرون: (232/2).

(4) البرادي، رسالة في كتب الإباضية: (ص70)، ضمن دراسة في تاريخ الإباضية وعقيدتها، لمحمد عزب.

(5) انظر: الخصيبي، الزمرد الفائق: (285/3).

(6) انظر: الشيباني، الإنتاج الإباضي في علم التفسير: (ص6).

(7) انظر: عبد الله الماجد، جهود علماء الإباضية في التفسير: (ص122).

(8) انظر: محمد الذهبي، التفسير والمفسرون: (233/2).

(9) انظر: الهواري، تفسير الكتاب العزيز، مقدمة المحقق: (85/1).

(10) انظر: المصدر السابق، مقدمة المحقق: (24/1).

(11) انظر: أبو الحواري، الدراية وكنز الغناية، مقدمة المحقق: (9/1).

كتب الإباضية وتعليقات المصنف، كما قرر هو ذلك في خاتمة تفسيره[1]. وقد حققه باحثان من إباضية الجزائر وهما مصطفى محمد شريفي ومحمد بن موسى بابا عمي، وقد طُبع في ثلاثة أجزاء سنة 1418هـ – 1998م بعُمان.

4. **(هِمْيَانُ الزّاد إلى دار المعاد)** لمحمد بن يوسف اطفيّش الوهبي الجزائري، المتوفى سنة 1332هـ، يعتبر هذا التفسير هو المرجع المهم للتفسير عند الإباضية من الخوارج، وقد استمد في تفسيره هذا من كتب مَن سبقه من المفسِّرين على اختلاف نِحَلهم ومشاربهم، ويمكن القول بأن تفسيره يمثل التفسير المذهبي للخوارج الإباضية في أواخر عصورهم، بعد أن خرجوا من عزلتهم التي مكثوا فيها مدة طويلة من الزمن[2]. ويصرّح اطفيّش أنّه يعتمد على مذهب الإباضية في تفسيره، وأنّه يلجأ – أيضًا إلى النقل عن الزمخشري والبيضاوي[3]. والكتاب طُبع في زنجار بالمطبعة السلطانية سنة 1314هـ، وأصدرت وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عمان سنة 1401هـ الطبعة الثانية منه ويقع في 13 مجلدًا.

5. **(تيسير التفسير)** لمحمد بن يوسف اطفيّش الوهبي الجزائري، المتوفى سنة 1332هـ، وقد ذكر المؤلف سبب تأليفه في مقدمته وهو تقاصر الهمم عن (هيمان الزاد إلى دار المعاد) وعن (داعي العمل ليوم الأمل)[4]. وهو خلاصة لما تضمنه (هميان الزاد)[5]. والكتاب طُبع الطبعة الأولى في المغرب في سبع مجلدات، وصدرت أجزاؤه بين سنتي 1325 – 1327هـ، ثم أعادت وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عُمان طباعته في مطلع القرن الخامس عشر الهجري.

6. **(في رحاب القرآن)** للشيخ إبراهيم بيوض، المتوفى سنة 1401هـ، كان تفسيره عبارة عن دروس عامة تُلقى في مسجد القرارة، شرع بها في سنة 1353هـ، لكنها لم تحظ بالتسجيل الصوتي حتى عام 1961هـ، فتفسيره من أول البقرة إلى الآية سبعين من سورة الإسراء، يعدّ مفقودًا فقدانًا كلّيًا، وبدأ التسجيل الصوتي من بداية الآية سبعين من سورة الإسراء، وقد ختمه في ربيع الأول سنة 1400هـ[6]. وقد طُبع هذا التفسير منذ سنة 1992م إلى 2004م، ونشرته جمعية التراث بالقرارة، بعد أن حرره أحد تلامذته وهو عيسى بن محمد الشيخ بلحاج، أستاذ اللغة العربية بمعهد الحياة، ثم اختصره الناصر بن محمد المرموري، وطبعته وزارة التراث والثقافة في عمان، في ستة مجلدات.

7. **(جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل)** لأحمد بن حمد الخليلي مفتي سلطنة عُمان، والتفسير عبارة عن دروس كان يلقيها في جامع قابوس بروى، ثم جُمعت وهُذبت في تفسير لم يكتمل بعد، يقول في مقدمة الكتاب: "فتيسر لي إلقاء دروس في التفسير بجامع السلطان قابوس بروى أمام طلاب معهد إعداد القضاة وغيرهم وسائر المستفيدين.. وكان إلقاء أول درس من هذه الدروس بعد صلاة المغرب من ليلة الأربعاء السادس من المحرم الحرام عام 1402هـ"[7]، وقد طُبعت بعض أجزائه ونشرته مكتبة الاستقامة بروى في سلطنة عمان سنة 1404هـ.

المطلب الثاني: منهج الإباضية في التفسير:

1. موقفهم من التفسير بالمأثور: على الرغم من اهتمام بعض مفسريهم بالتفسير المأثور، إلا أنّه يعكّر صفو هذا الأمر بإيراد منهجيات أخرى غير صحيحة، ومن أمثلة ذلك تجاهلهم الأحاديث والآثار الصحيحة التي لا تتفق مع مذهب الإباضية، فعند حديثهم عن آيات الشفاعة – مثلًا – يتجاهلون الأحاديث التي تُثبت الشفاعة لأهل الكبائر، كما فعل هود بن محّكم في تفسيره، حتى قال محقق التفسير: "وكأني بالشيخ هود الهواري حذفها قصدًا، ولعلها لم تصح عنده"[8]، ويرفض مفسروهم أحاديث

---

[1] انظر: المصدر السابق: (3/548-549).

[2] انظر: محمد الذهبي، التفسير والمفسرون: (2/236-237).

[3] انظر: اطفيّش، هميان الزاد: (1/5).

[4] انظر: اطفيّش، تيسير التفسير: (1/7).

[5] انظر: محمد الذهبي، التفسير والمفسرون: (2/233).

[6] انظر: بيّوض، في رحاب القرآن، المقدمة: (ص 6 – 8).

[7] الخليلي، جواهر التفسير، المقدمة: (1/12).

[8] الهواري، تفسير الكتاب العزيز: (3/29).

العقائد بحجة أنها أخبار آحاد لا معول عليها في القطعيات، ويرون أنّه لا يتجاوز ثبوت متنها الظنّ[1]. وقد أكّد السالمي أن مذهب جمهور الإباضية عدم اعتبار حديث الأحاد حجة في العقائد[2].

2. الاعتماد على العقل في فهم آيات العقيدة: وهذا أمر واضح جليّ خاصة عند تأويلهم لآيات الصفات، فهم ينظرون إلى هذه النصوص من منظور عقلي بحت، فما وافق العقل قبلوه، وما خالف العقل أوّلوه، يقول المصعبي: "ما أخبر به وكان ظاهره مستحيلًا في العقل، نصرفه عن ظاهره الممتنع، لأنّنا نعلم قطعًا أن الشرع لا يخبر بوقوع ما لم يمكن وقوعه، فلو كذبنا العقل في هذا، وعملنا بظاهر النقل المستحيل؛ لأدى ذلك إلى انهدام النقل أيضًا"[3]. وهذا ما أكدّه الخليلي في تفسيره "جواهر التفسير"، فيقول: "نرى وجوب استخدام العقل مع تعذر الوصول إلى الشرع"[4].

3. **التأثر بالمعتزلة:** إنّ المتتبع لتفاسير الإباضية يجد أنهم يكثرون النقل عن المعتزلة[5]، ويتفقون معهم في الكثير من قضايا العقيدة، بل ويثنون عليهم في بعض المواطن، فيصف الخليليُّ الزمخشريَّ بإمام البلاغة[6]، ويصرّح اطفيّش في مقدمة تفسيره "هميان الزاد" بأنه يحرص على موافقة نظر الزمخشري والبيضاوي، وأنّ هذا هو الغالب عنده[7].

4. التركيز على الآراء العقدية والفقهية للإباضية: يحمل مفسرو الإباضية الآيات على ما يتوافق مع عقائدهم وآرائهم، بل ويدعون المسلمين للعمل بمذهبهم، فيقول اطفيّش "فلو رجعوا – يقصد عموم المسلمين – إلى مذهبنا – يقصد الإباضية – في الأصول، أو أعرضوا عن مسائل الخلاف، كأن لم تكن، وكانوا يدًا واحدة، لغلبوا على أهل الشرك"[8].

5. **تقرير عقيدة الخوارج وموافقتها:** سبق الحديث عن علاقة الإباضية بالخوارج، وأنّها فرقة من فرقها، وهذا كان له تأثير كبير على عقائدهم في عقيدة الإباضية، وقد قرر مفسرو الإباضية عقائد الخوارج في الكثير من المواضع من تفاسيرهم، كالقول بخلق القرآن، وتكفير مرتكب الكبيرة، وإنكارهم الشفاعة لهم، وإنكار رؤية الله والميزان والصراط[9].

المطلب الثالث: أهم المزايا والمؤاخذات على تفاسيرهم:

أولًا: مزايا تفاسير الإباضية:

1. الاهتمام بالمسائل اللغوية والبلاغية[10].
2. الاهتمام بمباحث علوم القرآن، كالناسخ والمنسوخ[11]، وأسباب النزول[12]، والمكي والمدني[13]، وغيرها.
3. الاهتمام بالقراءات القرآنية، والاستفادة من أوجه الكلمة في فهم الآيات[14].
4. الاهتمام بالقضايا الفقهية، وذكر أقوال المذاهب والآراء والترجيح بينها[15].

---

[1] انظر: بيّوض، في رحاب القرآن: (272/5) (245/6)، والخليلي، الحق الدامغ: (ص62).

[2] انظر: السالمي، بهجة الأنوار: (ص245).

[3] المصعبي، معالم الدين: (193/2).

[4] الخليلي، جواهر التفسير: (290/1).

[5] انظر: الكندي، التفسير الميسر: (122/1)، واطفيّش، هميان الزاد: (15/1) (225/13)، وبيّوض، في رحاب القرآن: (61/4).

[6] انظر: الخليلي، جواهر التفسير: (356/2).

[7] انظر: اطفيّش، هميان الزاد: (5/1).

[8] اطفيّش، تيسير التفسير: (376/3).

[9] انظر: (ص9–11) من هذا البحث.

[10] انظر: الكندي، التفسير الميسر: (324/1) (11/3)، واطفيّش، هميان الزاد: (80/1) (120/3) (17/5)، والخليلي، جواهر التفسير: (18/1).

[11] انظر: الهواري، تفسير الكتاب العزيز: (209/1)، والكندي، التفسير الميسر: (196/2)، واطفيّش، هميان الزاد: (222/2).

[12] انظر: الهواري، تفسير الكتاب العزيز: (180/1)، والكندي، التفسير الميسر: (201/1)، واطفيّش، هميان الزاد: (6–340/1).

[13] انظر: اطفيّش، هميان الزاد: (9/1–10) (329/1).

[14] انظر: الكندي، التفسير الميسر: (321/3)، اطفيّش، هميان الزاد: (141/1) (10–148/1)، والخليلي، جواهر التفسير: (235/1).

[15] انظر: الهواري، تفسير الكتاب العزيز: (215/1).

5. الاهتمام بالجانب الوعظي والنصيحة[1]، والجانب السلوكي والتربوي[2].

ثانيًا: المؤاخذات على تفاسير الإباضية:

1. الأخذ بالإسرائيليات، والاعتماد عليها في التفسير[3]، وقد أكثر بعضهم من النقل عن الكلبي وهو مشهور بنقل الإسرائيليات والموضوعات[4]، ويؤخذ عليهم الاستدلال بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، خاصة في فضائل السور[5].

2. صرف فهم الآيات بما يتوافق مع الإباضية، خاصة في قضايا العقيدة، وقد سبق الإشارة إلى ذلك في منهجهم في التفسير، وحتى في القضايا الفقهية فإنّ بعضهم متعصب للإباضية، فيرجح ما ذهبوا إليه غالبًا[6].

3. عدم تفسير بعض الآيات القرآنية المهمة، والتجاوز عنها، كما فعل الهواري في قوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [الفاتحة: 5][7].

4. عدم الأمانة العلمية عند بعضهم، فتفسير هود بن محكّم هو اختصار لتفسير ابن سلّام، لكنه لم يشر إلى ذلك، وكثيرًا ما ينسبون الروايات إلى مجهول، كقولهم: "قال بعضهم"، أو "ذكروا"[8].

5. تحقير المخالفين لهم والتقليل من قدرهم، فيصف اطفيش أصحاب المذاهب الأربعة بأهل الأهواء[9]، وعند انتقاده للطبري يقول: "زعم الطبري قبحه الله"[10].

المبحث الرابع: تأويلاتهم في صفات الله Y

ظهر من خلال عرض عقائد الإباضية موافقتهم للمعتزلة في صفات الله Y، لكنها تأثرت – أيضًا – بالأشاعرة في تأويل الصفات الخبرية، وفي هذا المبحث سيتم دراسة موقف مفسريهم من الصفات.

المطلب الأول: قولهم أنّ الصفات عين الذات:

أكّد اطفيّش في تفسيره "هميان الزاد" أنّ صفات الله تعالى هي عين ذاته، فيقول في تفسير قوله تعالى: (أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ) [النساء: 166]: "جعلوا صفات الذات غيره تعالى كصفات الفعل، **وعندنا صفات الذات هو**"[11].

ويؤكد اطفيش على ذلك في تفسير قوله تعالى: (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) [يوسف: 76]، ونسب هذا القول للإباضية والمعتزلة، فيقول: "واعلم أنّ الله I **عالم بالذات** عندنا معشر الإباضية وعند المعتزلة"[12].

وعلّل اطفيش لهذا المعتقد بما قالته المعتزلة، وهو أنّ إثبات الصفات يلزم منه تعدد القديم، أو أنّ إثباتها يفضي إلى أن تكون محدثة[13]، والذي يقصده المعتزلة والإباضية من هذا هو نفي الصفات، فيقولون هو عالم بذاته لا بعلم، وقادر بذاته لا

---

(1) انظر: المصدر السابق: (4/344–473–490)، والكندي، التفسير الميسر: (2/70) (2/210).

(2) انظر: الكندي، التفسير الميسر: (2/279) (2/420).

(3) انظر: الهواري، تفسير الكتاب العزيز: (3/262)، والكندي، التفسير الميسر: (2/228)، واطفيّش، هميان الزاد: (3/383) (8–2/13).

(4) انظر: الهواري، تفسير الكتاب العزيز: (4/239).

(5) انظر: المصدر السابق: (3/70)، والكندي، التفسير الميسر: (1/214) (2/138)، اطفيّش، هميان الزاد: (4/413) (8–1/147)

(6) انظر: الهواري، تفسير الكتاب العزيز: (1/252).

(7) انظر: المصدر السابق: (1/77).

(8) انظر: المصدر نفسه: (2/92).

(9) انظر: اطفيّش، هميان الزاد: (2/452).

(10) المصدر السابق: (3/161).

(11) اطفيّش، هميان الزاد: (5/266).

(12) المصدر السابق: (8–2/217).

(13) المصدر نفسه: (5/266).

بقدرة.. وهكذا، يقول الشهرستاني: "والذي يعمّ طائفة المعتزلة من الاعتقاد القول بأنّ الله تعالى قديم، والقدم أخص وصف ذاته، ونفوا الصفات القديمة أصلًا، فقالوا: هو عالم بذاته، قادر بذاته، حي بذاته؛ لا بعلم وقدرة وحياة"[1].

والردّ على ما سبق سيكون من عدة وجوه:

أولًا: جعلهم كل صفة هي عين الذات مكابرة للبديهيات العقلية فضلًا عن الشرعية؛ لأنّ لازم ذلك أنّ الصفات لا يتميز بعضها عن بعض، فيكون العلم هو القدرة وهو الكلام ويكون معنى قوله تعالى: (وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ) [البقرة: 29]، بمعنى قوله: (وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ) [البقرة: 284] وهذا ممّا يُعلم بطلانه بداهة.

ثانيًا: أهل السنة يميزون بين مفهوم الصفة والذات، فيقولون: الله موصوف بالصفات، ولا يقولون: هي هو، أو هي غيره؛ لما في ذلك من الإجمال الذي يحتمل معنى فاسدًا.

يقول ابن تيمية: "وإذا قيل: هل صفاته زائدة على الذات أم لا؟ قيل: إن أريد بالذات المجردة التي يقرّ بها نفاة الصفات، فالصفات زائدة عليها، وإن أريد بالذات الذات الموجودة في الخارج، فتلك لا تكون موجودة إلا بصفاتها اللازمة، والصفات ليست زائدة على الذات المتصفة بالصفات وإن كانت زائدة على الذات التي يقدر تجردها عن الصفات"[2].

وكما هو واضح من كلام النفاة أنّ الذات عندهم مجردة عن الصفات؛ لذا قالوا بأنّ الصفات ليست زائدة على الذات، ويعنون بذلك أنّ هذه الصفات هي نفسها الذات المجردة، وبهذا تكون ذات بلا صفات عندهم.

يقول ابن القيّم: "وبَلاءُ القومِ من لفظة (الغير)... ويُراد به: مغايرة الصِّفة للذات، إذا جُرِّدَت عنها، فإذا قيل: عِلْمُ الله وكلامُ الله غيرُه، بمعنى: أنَّه غير الذات المجردة عن العلم والكلام؛ كان المعنى صحيحًا، ولكن الإطلاق باطل، وإذا أُريد أنّ العلم والكلام مُغاير لحقيقته المختصَّة التي امتاز بها عن غيره؛ كان باطلًا لفظًا ومعنًى"[3].

ثالثًا: قولهم أنّ تعدد الصفات يلزم منه تعدد القدماء، باطل بدلالة السمع والعقل:

– **أما السمع:** فإنّ الله تعالى وصف نفسه بأوصاف كثيرة، مع أنّه الواحد الأحد، فقال تعالى (إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ) [البروج: 12–16]. وقال: (سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣ وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ) [الأعلى: 1–5]، ففي هذه الآيات الكريمة أوصاف كثيرة لموصوف واحد ولم يلزم من ثبوتها تعدد القدماء.

– **وأمّا العقل:** فكفانا في هذا الإمام أحمد، فيقول: "إذا قلنا: إنّ الله لم يزل بصفاته كلّها، أليس إنّما نصف إلَهًا واحدًا بجميع صفته؟ وضربنا لهم في ذلك مثلًا، فقلنا: أخبرونا عن هذه النخلة؟ أليس لها جذع وكرب، وليف وسعف وخوص وجَمّار؟ واسمها اسم شيء واحد، وسُميت نخلة بجميع صفاتها، فكذلك الله، وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد"[4]. ومن الدلالات العقلية – أيضًا – أنّه يلزمهم نفي الأسماء كما نفوا الصفات، فإنّ تعدد الأسماء – حسب قاعدتهم – يلزم منه تعدد القدماء، وهذا لا يقوله أحدهم، وقد أحسن شيخ الإسلام في قوله: "فكل ما يحتج به من نفى الصفات، يحتج به نافي الأسماء الحسنى، فما كان جوابًا لذلك كان جوابًا لمثبتي الصفات"[5].

المطلب الثاني: موقفهم من إثبات الصفات:

---

[1] الشهرستاني، الملل والنحل: (43/1).

[2] ابن تيمية، مجموع الفتاوى: (97/6).

[3] ابن القيم، بدائع الفوائد: (31/1).

[4] الإمام أحمد، الرد على الجهمية والزنادقة: (ص140).

[5] ابن تيمية، التدمرية: (ص35).

1. ينفي مفسرو الإباضية الصفات الخبرية قولًا واحدًا؛ لأنّها – حسب زعمهم – تُفضي إلى **التشبيه والتجسيم**، يقول بيّوض في تفسير قوله تعالى: (وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ) [الزمر: 67]: "ترد ألفاظ في القرآن فيها ذكر اليد والقبضة واليمين والعين والوجه، ولا يجوز أن نفسرها على ظاهرها؛ لأنّ ذلك يفضي إلى التشبيه"[1].

ويقول الخليلي في معرض إقراره بتأويل الصفات عن ظاهرها: "وإنّما شاع التأويل عند الخلف بسبب ما طرأ على العقيدة من لوثات **التشبيه**، وطغى على العقول من الجهل والزيغ، واستبدت الأهواء بالناس"[2].

وحقيقة الأمر أنّ المؤولة ما وقعوا في التعطيل إلا لأنّهم وقعوا في التشبيه أولًا، فهم تصوّروا كيفيةً للصفة تُشبه صفات المخلوقين، ثم استنعوا ذلك فوقعوا في التعطيل، فهم تخيلوا أنّ إثبات الصفات يجعل الذات الإلهية قائمة على التركيب والتعدد[3]، وظنّوا أنّ العلو سيؤدي إلى التحيز والجسمية[4]، وهكذا في سائر الصفات.

قال ابن تيمية: "وكل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل فهو جامعٌ بين التعطيل والتمثيل، أما المعطلون؛ فإنّهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثمّ شرعوا في نفي تلك المفهومات، فقد جمعوا بين التمثيل والتعطيل، مثلوا أولًا، وعطلوا آخرًا، وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم، وتعطيل لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة بالله سبحانه وتعالى"[5].

2. أثبت بعض مفسري الإباضية بعض الصفات على طريقة الأشاعرة، وهذا ما أوقعهم في تناقض كبير كما سيأتي، فيقول الخليلي في تفسيره: "إنّه ممّا يستبين لكلّ عقل أنّ الله تعالى موصوف بالكمالات ومنزه عن النقائص، وذلك ما أكدّه الشرع، فتطابق عليه العقل والنقل، وذلك يقتضي ألا يكون سبحانه إلا موصوفًا بالقدرة والعلم والسمع والبصر والإرادة والوحدانية والأزلية والأدبية... ولئن كان المخلوق يوصف ببعض هذه الأوصاف كالعلم والقدرة والسمع والبصر، فذلك وصف نسبيّ محدود لا يساوي شيئًا"[6].

وقد يتوهم البعض أنّ الإباضية تثبت هذه الصفات على حقيقتها كما هو المقرر عند أهل السنة، وهذا ليس بصحيح، بل هي عندهم صفات اعتبارية ليست حقيقية، وإنّما يُراد بها نفي أضدادها فقط؛ لأنّ في إثباتها على حقيقتها – حسب معتقدهم – ستفضي إلى التشبيه، ومن الأمثلة على ذلك ما قاله اطفيّش في تفسير قوله تعالى: (ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ) [البقرة: 255]: "**الحيّ معناه نفي ضده فقط**، أي لا يموت، وإلا فإنّه لا يوصف بتنفس أو حركة أو سكون أو رطوبة أو يبوسة وغير ذلك من صفات الخلق"[7].

3. زعم بعض مفسري الإباضية كالخليلي أنّ تأويل الصفات هو منهج السلف الصالح ψ، وأنّ بعضهم لم يخض في آيات الصفات؛ تنزيهًا لله Y عن مشابهة خلقه، فيقول: "ولم يكن امتناعهم عن الخوض في معاني القرآن محصورًا في هذه الآيات الموهمة للتشبيه وحدها، وإنّما سكتوا عن الكثير مما لم يروا داعيًا ملّحًا إلى الخوض في معناه؛ وما هو إلا من باب الورع والاحتياط... مع ما أُثر عنهم من تفسير طائفة منها بما يتفق مع القاعدة الراسخة عندهم، وهي تنزيه الله تعالى التي ثبتت بالنص والعقل، واستهدائهم في مسالك التأويل بلغة العرب التي خبروها وسبروا مضامينها"[8].

والردّ على ما سبق سيكون من عدّة وجوه:

---

[1] بيّوض، في رحاب القرآن: (211/5).

[2] الخليلي، جواهر التفسير: (الجزء الخاص: ص65).

[3] انظر: الكندي، التفسير الميسر: (543/3).

[4] انظر: المصدر السابق: (138/1)، واطفيّش، همیان الزاد: (9–209/1).

[5] ابن تيمية، الفتوى الحموية الكبرى: (ص267).

[6] الخليلي، جواهر التفسير: الجزء الخاص: (ص206).

[7] اطفيّش، همیان الزاد: (350/3).

[8] الخليلي، جواهر التفسير: الجزء الخاص: (ص64).

أولًا: الاعتقاد الصحيح هو الذي يُبنى على ما ثبت في الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين والأئمة، وقد أجمعوا على إثبات الصفات الواردة لله تعالى في الكتاب والسنة، من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تعطيل ولا تأويل، لا فرق في ذلك بين الصفات الذاتية أو الفعلية، ولا بين الصفات السمعية الخبرية أو السمعية العقلية، فكل ما صح به الخبر وجب إثباته لله تعالى، يقول شيخ الإسلام: "قد علم أنّ طريقة سلف الأمة وأئمتها: إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد: لا في أسمائه ولا في آياته"[1].

وإثبات الصفات لا يلزم منه التشبيه، فقد نفى الله عن نفسه التشبيه، وأثبت لنفسه الصفات في قوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، يقول نعيمُ بنُ حَمَّادٍ: "مَن شَبَّه اللهَ بخَلْقِه فقد كَفَر، ومن أنكَرَ ما وَصَف اللهُ به نَفْسَه فقد كَفَر، وليس ما وَصَف اللهُ به نَفْسَه تشبيهًا"[2].

ثانيًا: الادّعاء بأنّ تأويل الصفات وصرفها عن ظاهرها هو منهج السلف الصالح ادّعاء غير صحيح، ومحاولة يائسة لدعم فكرة التعطيل، فالسلف وفي مقدمتهم الصحابة الكرام لم يخوضوا فيما خاض فيه المتكلمون، يقول القاضي أبو يعلى الفراء: "دليل آخر على إبطال التأويل: أنَّ الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها، ولم يتعرضوا لتأويلها، ولا صرفها عن ظاهرها، فلو كان التأويل سائغًا؛ لكانوا أسبق لما فيه من إزالة التشبيه، ورفع الشبهة، بل قد روى عنهم ما دل على إبطاله"[3].

وقد أحسن ابن القيم فيما قال: "وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام، وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيمانًا، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة، من أولهم إلى آخرهم، لم يسموها تأويلًا، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلاً، ولم يبدوا لشيء منها إبطالًا، ولا ضربوا لها أمثالًا، ولم يدفعوا في صدورها وأعجازها، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها، بل تلقوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالإيمان والتعظيم، وجعلوا الأمر فيها كلها أمرًا واحدًا، وأجروها على سنن واحد، ولم يفعلوا كما فعل أهل الأهواء والبدع حيث جعلوها عضين، وأقروا ببعضها وأنكروا بعضها من غير فرقان مبين، مع أنّ اللازم لهم فيما أنكروه كاللازم فيما أقروا به وأثبتوه"[4].

أما بخصوص ما نقلوه عن بعض الصحابة والتابعين من تأويلات، فقد كفانا الباحث فيصل الجاسم الردّ عليها في كتابه: "الأشاعرة في ميزان أهل السنة"، وخلص إلى أنّ ما نقل عن السلف في هذا الباب لا يخرج عن أحد أمرين:

الأول: عدم ثبوته عمن نقلوا عنه، إمّا لكونه لا أصل له، أو لضعف سنده، أو لمعارضته لما هو أصح وأشهر من كلامه. والثاني: أنّه في غير موضعه، كأنْ يكون في غير آيات الصفات، أو مختلفًا فيه[5].

ثالثًا: إثبات الإباضية لبعض الصفات الذاتية وإنكار غيرها حجة عليهم – أيضًا –، فكما أثبوا صفات لا تشبه صفات المخلوقين، كان عليهم أن يثبتوا سائرها على نفس القاعدة، يقول شيخ الإسلام تحت قاعدة (القول في بعض الصفات كالقول في بعض): "فإنْ كان المخاطب ممن يقرّ بأنّ الله حي بحياة، عليم بعلم، قدير بقدرة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام،

---

[1] ابن تيمية، مجموع الفتاوى: (3/3).

[2] عبد الغني المقدسي، الاقتصاد في الاعتقاد: (ص217).

[3] الفراء، إبطال التأويلات: (ص80).

[4] ابن القيم، إعلام الموقعين: (39/1).

[5] انظر: فيصل الجاسم، الأشاعرة في ميزان أهل السنة: (ص551).

مريد بإرادة، ويجعل ذلك كله حقيقة، وينازع في محبته ورضاه وغضبه وكراهيته، فيجعل ذلك مجازًا، ويفسره إما بالإرادة، وإما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات، قيل له: لا فرق بين ما نفيتَه وبين ما أثبتَّه، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر"[1].

أما عن صرف ما أثبتوه من الصفات عن حقيقته، فهو باطل مردود، وقد صرّح الأئمة بأنّ الصفات ثابتة بمعانيها على حقيقتها، يقول الإمام الطبري في الصفات: "الصواب من هذا القول عندنا، أن نثبت حقائقها على ما نعرف من جهة الإثبات ونفي التشبيه، كما نفى ذلك عن نفسه جل ثناؤه فقال: (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ) [الشورى: 11]، فيقال: الله سميعٌ بصيرٌ، له سمعٌ وبصرٌ؛ إذ لا يعقل مسمى سميعًا بصيرًا في لغةٍ ولا عقلٍ في النشوء والعادة والمتعارف إلا من له سمعٌ وبصرٌ"[2].

المطلب الثالث: نماذج من تأويل مفسري الإباضية لآيات الصفات:

سيتم في هذا المطلب عرض لتأويلات مفسري الإباضية لبعض صفات الله Y، ومن ذلك:

1. **صفتا السمع والبصر**: وهما من صفات المعاني التي يثبتها بعض المتكلمين ظاهرًا، ويؤولونها باطنًا، وقد نحا الإباضية نحوهم، فجعلوها في معنى العلم:

– يقول الكندي في تفسير قوله تعالى: (لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ) [آل عمران: 181]: "ومعنى سماع الله له: أنّه لم يخفَ عليه، وأنّه أعدّ له كفافه من العقاب"[3]. وعدم الخفاء هو العلم.

– أمّا اطفيش فقد صرّح بالتأويل، فيقول في تفسير قوله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [البقرة: 110]: "أي: عليم بكلّ ما اعتقده أحد أو قاله أو فعله من خير أو شر"[4]. ويقول في تفسير قوله تعالى: (إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ) [البقرة: 127]: "وعندي أنّ سمعه تعالى هو علمه بصوت الصائتين حال وقوعه على وفق علمه الأزلي"[5].

المناقشة: إنّ صفتي السمع والبصر صفتان ذاتيتان ثابتتان لله Y على الحقيقة، وهو إجماع عندهم[6]، وقد دلت نصوص القرآن والسنة على ذلك:

– **أما من القرآن:** فقوله تعالى: (وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ) [الشورى: 11]، وقوله: (إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ) [طه: 46]. والآيات في هذا الباب كثيرة جدًّا.

– **ومن السنة:** فقول النَّبِيُّ ε: "إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَادَانِي قَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ **سَمِعَ** قَوْلَ قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ"[7]. وعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ε فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ ε: "ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، تَدْعُونَ **سَمِيعًا بَصِيرًا** قَرِيبًا"[8].

يقول الإمام الدارمي في ردّه على المريسي الذي أوّل السمع والبصر بالعلم: "قد جمعت أيها المريسي في دعواك هذه جهلًا وكفرًا، أما الكفر: فتشبيهك الله تعالى بالأعمى الذي لا يبصر ولا يرى، وأما الجهل: فمعرفة الناس بأنّه لا يستقيم في

---

[1] ابن تيمية، التدمرية: (ص31).

[2] الطبري، التبصير في معالم الدين: (ص140).

[3] الكندي، التفسير الميسر: (209/1).

[4] اطفيّش، همیان الزاد: (267/2).

[5] المصدر نفسه: (332/2).

[6] انظر: الإسماعيلي، اعتقاد أئمة الحديث: (ص55)، الأشعري، رسالة إلى أهل الثغر: (ص120).

[7] البخاري، الصحيح، كتاب التوحيد، باب قول الله I: وكان الله سميعًا بصيرًا: (118/9: ح7389)، ومسلم، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ε من أذى المشركين والمنافقين: (1420/3: ح1795).

[8] البخاري، الصحيح، كتاب التوحيد، باب قول الله I: وكان الله سميعًا بصيرًا: (117/9: ح7386).

كلام العرب أن يقال لشيء هو سميع بصير إلا وذلك الشيء موصوف بالسمع والبصر من ذوي الأعين والأسماع والأبصار"[1].

2. صفة الكلام: تفرق الإباضية بين صفة الكلام وبين القرآن الكريم، فجعلوا الكلام صفة ذات بمعنى نفي الخرس، والقرآن أثر لهذه الصفة فقالوا بأنّه مخلوق.

يقول اطفيّش: "ظهر لي بعد استفراغ الوضع والنظر، وهو الحقّ إن شاء الله من كون كلامه تعالى قسمين: الأول صفة فعل ويدخل فيه خطابه.. كلامًا خلقه مستقلًا عن كل شيء.. والثاني: صفة ذات وهو معنى نفى الخرس، مع التنزه عن الجوارح وصفات المخلوقات"[2]. ويقول بيّوض: "وفي هذا التعبير دليل على أنّ ألفاظ القرآن المنزل المجعول عربيًا دليل على أنّها مخلوقة مجعولة منزلة، أمّا صفة الكلام فهي قديمة، لا يزال متكلمًا ليس بأخرس"[3].

وقد يتوهم البعض أنّهم يثبتون صفة الكلام على حقيقتها، وليس كذلك، وفي هذا يقول الخليلي: "لكن لا يعني هذا أنّ هذه الصفة – الكلام – كلمات مركبة من حروف وتركب منها جمل"[4].

مما سبق يظهر جليًّا أنّ الإباضية في تفاسيرهم يصرحون بالقول بخلق القرآن الكريم، وقد أكّدوا على ذلك في غير موضع، وقد وافق الإباضية في ذلك المعتزلة والجهمية.

أمّا موافقة المعتزلة: فيتمثل في قولهم أنّ الله Y يخلق كلامًا يُسمعه من شاء من عباده: فيقول اطفيّش: "وعندنا وعند المعتزلة: كلام الله تعالى حادث مخلوق، وغيرهم: قديم غير مخلوق"[5]. لذا قام بتأويل جميع الآيات الدالّة على صفة الكلام، فيقول في تفسير قوله تعالى: (مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ) [البقرة: 253]: "وذلك تكليم مخصوص بواسطة ملك ليس لسائر الأنبياء أو بخلق الكلام في الهواء أو في جسم آخر"[6]. وكل آية فيها (قال الله) أو (نُودي) أو (نودوا) أو (كلام الله) ونحوها، فإنّ اطفيّش يُؤولها بكلام يخلقه الله تعالى في الهواء أو في جسم آخر أو كتابة أو بواسطة ملك [7].

– **وأمّا موافقة الجهمية:** فيتمثل في قولهم أنّ كلام الله Y عبارة عن إلهام رباني: فيقول الكندي في تفسير قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ) [الشورى: 51]: "قيل: المراد به الإلهام"[8]. ويوضّح المراد من ذلك في تفسير قوله تعالى: (فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ) [طه: 11–12]: "وهو إشارة إلى أنّه عليه السلام تلقّى كلام ربّه تلقّيًا روحيًّا، ثمّ تمثّل ذلك الكلام لبدنه، وانتقل إلى الحس المشترك، فانتقش به من غير اختصاص بعضوٍ وجهةٍ، وكلّ إلهام أُلهم المخلوق أتاه من قِبل الله تشهد له أنوار الحجج أنّه من عند الله فاتّبِعْه"[9].

المناقشة: إنّ ما ذهب إليه الإباضية من القول بخلق القرآن الكريم، وتأويلاتهم لصفة الكلام بما يتوافق مع هذا المعتقد، مخالف لمعتقد أهل السنة والجماعة، ويمكن الرد عليهم من عدة وجوه:

أولًا: الكلام صفة ثابتة لله تعالى بدلالة الكتاب والسنة والإجماع والعقل.

– **أما من القرآن:** فقوله تعالى: (وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا) [النساء: 164]، وقوله تعالى: (تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ) [البقرة: 253]، وقوله تعالى: (وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ) [الأعراف: 143].

---

[1] الدارمي، الدارمي، نقض الدارمي على المريسي: (ص106).

[2] اطفيّش، همیان الزاد: (240/1). وانظر: (6–222/2).

[3] بيّوض، في رحاب القرآن: (385/5).

[4] الخليلي، جواهر التفسير: الجزء الخاص: (ص228–229).

[5] اطفيّش، همیان الزاد: (136/11).

[6] المصدر السابق: (343/3).

[7] انظر: المصدر نفسه: (371/3) (6–19/2–81–252) (10–17/2) (340/11) (12–352/1) (13–144/275).

[8] الكندي، التفسير الميسر: (176/3).

[9] المصدر السابق: (2/293–294).

– **وأمّا السنة:** فعَنْ عَدِيّ بْنِ حَاتِمٍ τ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ε: "مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا **سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ** لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ"[1]. وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ τ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ε: "يَقُولُ اللهُ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، **فَيُنَادَى بِصَوْتٍ:** إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ"[2].

– **وأمّا الإجماع:** يقول ابن حزم: "أجمع أهل الإسلام كلّهم أنّ لله تعالى كلامًا، وعلى أنّ الله تعالى كلّم موسى υ، وكذلك سائر الكتب المنزلة كالتوراة والإنجيل والزبور والصحف، فكلّ هذا لا اختلاف فيه بين أحد من أهل الإسلام"[3].

– **وأمّا العقل:** فالكلام صفة كمال، وضدها الخرس وهي صفة نقص إذا وجدت في المخلوق كانت عيبًا ظاهرًا، فكيف يصح إثباتها للخالق؟ وقد استنكر الله Y على قوم موسى أنْ عبدوا العجل بقوله: (أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ) [الأعراف: 148]، وكان عبّاد العجل – مع كفرهم – أعرف بالله من المعتزلة، فإنّهم لم يقولوا لموسى: وربك لا يتكلم أيضًا[4].

ثانيًا: الكلام صفةٌ ذاتيةٌ باعتبار أصلها؛ لأنّ الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلمًا، وهو صفةٌ فعليةٌ باعتبار آحاد الكلام؛ لأنّ الكلام يتعلق بمشيئته فيتكلم كيف شاء ومتى شاء. يقول شيخ الإسلام: "وأما السلف وأئمة السنة وكثير من أهل الكلام.. يقولون: إنّه صفة ذات وفعل هو يتكلم بمشيئته وقدرته كلامًا قائمًا بذاته"[5].

ثالثًا: الله Y يتكلم بصوت يُسمع، يقول شيخ الإسلام: "واستفاضت الآثار عن النبي ε والصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة السنة، **أنّه سبحانه ينادي بصوت**، نادى موسى، وينادي عباده يوم القيامة بصوت، ويتكلم بالوحي بصوت، ولم يُنقل عن أحد من السلف أنّه قال: إنّ الله يتكلم بلا صوت أو بلا حرف، ولا أنّه أنكر أن يتكلم الله بصوت أو بحرف"[6].

رابعًا: قولهم أنّ كلام الله تعالى لموسى υ كان عن طريق خلق كلامٍ في الهواء أو في شيء آخر أو عن طريق ملك، لا يقتضي تفضيلًا، والله تعالى يقول: (تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ) [البقرة: 253]، قال شيخ الإسلام: "فلو كان تكليمه لموسى إنّما هو صوت خلقه في الهواء؛ لكان وحي الأنبياء أفضل منه؛ لأنّ أولئك عرفوا المعنى المقصود بلا واسطة، وموسى إنّما عرفه بواسطة"[7].

خامسًا: قولهم أنّ كلام الله تعالى هو إلهام رباني يفضي لمفاسد عقدية كبيرة، فقد فتح الجهمية بذلك بابًا لغلاة المتصوفة لادّعاء التلقي عن رب العالمين، يقول الموصلي في اختصار الصواعق: "ولمّا أصّلت الجهمية هذا الأصل، وبنوا عليه، وجعلوا تكليم الرب تعالى للرسل والملائكة، هو مجرد إيحاء المعاني صار خلقٌ من متعبديهم ومتصوفيهم يدّعون أنّهم يخاطَبون، وأنّ الله يكلّمهم كما كلّم موسى بن عمران، ويزعمون أنّ التحديث الذي يكون للأولياء مثل تكليم الله لموسى بن عمران، إذ ليس هناك غير مجرد الإلهام"[8].

3. **صفة الوجه:** ينفي مفسرو الإباضية هذه الصفة، ويؤولونها بالذات المقدسة، أو بالجهة، أو بالرضا أو بغيرها من التأويلات، يقول الكندي: "وجاز أن يُراد بالوجه الذات، كما قال تعالى: (وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ) [الرحمن: 27]"[9]. ويقول اطفيّش في تفسير قوله تعالى: (فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ) [البقرة: 115]: "وجه الله: ذاته ونفسه تعالى، وذاته ونفسه

---

(1) البخاري، الصحيح، كتاب التوحيد، باب كلام الرب Y يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم: (148/9: ح7512)، ومسلم، الصحيح، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنّها حجاب من النار: (703/2: ح1016).

(2) البخاري، الصحيح، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ): (141/9: ح7483).

(3) الفصل، لابن حزم: (4/3).

(4) انظر: ابن أبي العز، شرح الطحاوية: (175/1).

(5) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: (219/6).

(6) المصدر السابق: (304/12–305).

(7) المصدر نفسه: (515/12).

(8) الموصلي، مختصر الصواعق المرسلة: (ص523).

(9) الكندي، التفسير الميسر: (84/2).

هو... ويجوز أن يكون وجه الله سبحانه بمعنى رضى الله أو مرضيه... ويجوز أن يكون الوجه بمعنى الجهة، أي جهة الله، أي: الجهة التي يرضاها الله قبلة"[1]. وينفي بيوّض صفة الوجه في تفسير قوله تعالى: (وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ) [الرحمن: 27]، فيقول "والمراد بالوجه الذات؛ لأنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بالجوارح"[2]. أمّا الخليلي فيعدّ إثبات صفة الوجه وغيرها من الصفات الخبرية من النقائص في حقّ الله تعالى[3].

المناقشة: صفة الوجه هي صفة ذاتية ثابتة لله Y[4]، وقد دلت النصوص من القرآن والسنة على ذلك:

– **من القرآن:** قوله تعالى: (وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ) [الرحمن: 27]، (وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ) [الرعد: 22]، (كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ) [القصص: 88]، (وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ) [الكهف: 28].

– **ومن السنة:** قول النبي ε: "حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ **سُبُحَاتُ وَجْهِهِ** مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ"[5]. وهذا الحديث أورده ابن خزيمة في إثبات صفة الوجه ثمّ قال: "إنّ وجه ربنا القديم لا يزال باقيًا، فنفى عنه الهلاك والفناء"[6].

– **ومن السنة أيضًا:** ما جاء في حديث عمّار بن ياسر τ أنّه دعا في صلاته بدعوات سمعها من رسول الله ε ومن هذه الكلمات: "وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ **النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ**، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ"[7]. وهذا الحديث دليل قوي على إثبات صفة الوجه لله تعالى، فهل يجوز للمؤولة أنْ يقولوا: أسألك لذة النظر إلى القبلة؟![8]

يقول السفاريني: "من الصفات الثابتة له تعالى صفة الوجه، إثبات وجود لا إثبات تكييف وتحديد، وهذا الذي نقل الخطابي وغيره أنّه مذهب السلف والأئمة الأربعة، وبه قال الحنفية والحنابلة وكثير من الشافعية وغيرهم، وهو إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها"[9].

4. **صفة العين:** ينفي مفسرو الإباضية هذه الصفة ويؤولونها بالحفظ والرعاية، قال الكندي في تفسير قوله تعالى: (وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَاسجى [هود: 37]: "أي: محفوظًا، وحقيقته ملتبسًا بأعيننا، أي: بحفظنا وعلمنا"[10]. وقال اطفيّش: "والمراد نحفظك وإياها فلا يعارض عنها ولا يفسد عمله، وورد الجمع والإفراد، يقال: (عين الله) بمعنى حفظه وعلمه، وأعينه كذلك، ولم ترد التثنية فلا يجوز"[11]. وقال بيّوض: "ترد ألفاظ في القرآن فيها ذكر اليد والقبضة واليمين والعين والوجه، ولا يجوز أن نفسرها على ظاهرها؛ لأنّ ذلك يفضي إلى التشبيه"[12]. وقد نفى الخليلي صفة العين، وعدّها من النقائص في حقّ الله[13].

---

[1] اطفيّش، همیان الزاد: (279/2). وانظر: (296/3) (8–341/2) (87/14).

[2] بيّوض، في رحاب القرآن: (301/6).

[3] انظر: الخليلي، جواهر التفسير: الجزي الخاص: (ص23).

[4] انظر: ابن خزيمة، التوحيد: (25/1)، والإسماعيلي، اعتقاد أئمة الحديث: (ص55)، والفراء، إبطال التأويلات: (ص551)، والمقدسي، الاقتصاد في الاعتقاد: (ص55).

[5] مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب في قوله ε: إنّ الله لا ينام، وفي قوله: حجابه النور: (161/1: ح179).

[6] ابن خزيمة، التوحيد: (51/1).

[7] النسائي، السنن، كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر: (54/3: ح1305)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (279/1).

[8] انظر: الدارمي، نقض الدارمي على المريسي: (ص271).

[9] السفاريني، لوامع الأنوار البهية: (226/1).

[10] الكندي، التفسير الميسر: (53/2).

[11] اطفيّش، همیان الزاد: (121/11).

[12] بيّوض، في رحاب القرآن: (211/5).

[13] انظر: الخليلي، جواهر التفسير: الجزي الخاص: (ص23).

المناقشة: صفة العين من الصفات الذاتية الثابتة لله Y، ويثبت أهل السنة لله Y عينين اثنتين، ينظر بهما حقيقة على الوجه اللائق به جلّ شأنه[1]، وقد دلّ الكتاب والسنة على ذلك:

– **من القرآن:** قوله تعالى: (وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا) [هود: 37]، قوله تعالى: (وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ) [طه: 39]، (وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ) [القمر: 48].

– **ومن السنة:** عَنْ عَبْدِ اللهِ τ قَالَ: ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِنْدَ النَّبِيِّ ε فَقَالَ: "إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ وَإِنَّ الْمَسِـــيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ"[2]. ففي تأويل رســـول الله ε: "إنّ الله ليس بأعور": بيان أنّه بصـير ذو عينين خلاف الأعور، يقول الإمام ابن خزيمة بعد إيراد هذا الحديث: "فبيّن النبي ε أنّ لله عينين، فكان بيانه موافقًا لبيان محكم التنزيل، الذي هو مسطور بين الدفتين، مقروء في المحاريب والكتاتيب"[3].

أما عن وجه ورود (العين) في القرآن مفردة أو جمع، فقد قال ابن عثيمين: "إنّ الإفراد لا ينافي التثنية ولا الجمع؛ لأنّ المفرد المضـــاف يعمّ، فيتناول كلّ ما ثبت لله من يد، أو عين واحدة كانت أو أكثر، وأمّا الجمع بين ما جاء بلفظ التثنية وبلفظ الجمع، فإن قلنا: أقل الجمع اثنان فلا منافاة أصلًا بين صيغتي التثنية والجمع لاتحاد مدلوليهما، وإن قلنا: أقل الجمع ثلاثة وهو المشـــهور، فالجمع بينهما أن يقال: إنّه لا يراد من صـــيغة الجمع مدلولها الذي هو ثلاثة فأكثر، وإنما أريد بها – والله أعلم – التعظيم والمناسبة"[4].

4. **صفة الساق:** نفى مفسرو الإباضة هذه الصفة، وحملوا معناها على الأمر الشديد، ونسبوا ذلك لابن عباس τ وتلامذته: فقد جاء في تفسير الهواري لقوله تعالى: (يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ) [القلم: 42]، أنّ المراد بالساق: شدة الأمر وجدّه، أي: الأمر الشديد، ونسب ذلك إلى ابن عباس τ ومجاهد وسعيد بن جبير[5]. وقال الكندي في تفسير الآية: "يوم يشتدّ الأمر، ويصعب الخطب، وكشف الساق مَثَلٌ لذلك.. أو يوم يُكشف عن أصل الأمر وحقيقته بحيث يصير عيانًا"[6]. وقال اطفيش: "والكشف عن الساق كناية عن شدة الأمر للجزاء والحساب، ولا ساق، ثمّ ولا كشفًا عنه"[7]. وأنكر اطفيّش ما جاء في الأحاديث من إثبات لصفة الساق وعدّه افراءً[8].

المناقشة: الساق صفة من صفات الله Y الذاتية[9]، وقد دلّت نصوص الكتاب والسنة على ذلك:

– **من القرآن:** قوله تعالى: (يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ) [القلم: 42]، وقد وقع الخلاف في كون هذه الآية من آيات الصفات أم لا؟ لذا ما جاء من تنازع الصحابة والتابعين ψ في تفسير هذه الآية، لم يكن تنازعًا في إثبات الصفة، وإنّما كان تنازعًا في

---

[1] انظر: الفراء، إبطال التأويلات: (ص392)، وابن خزيمة، التوحيد: (97/1)، والدارمي، نقض الدارمي على المريسي: (ص116)، والسفاريني، لوامع الأنوار البهية: (240/1).

[2] البخاري، الصحيح، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: "ولتصنع على عيني": (121/9: ح7407).

[3] ابن خزيمة، التوحيد: (97/1).

[4] ابن عثيمين، مجموع فتاوى: (255/1).

[5] انظر: الهواري، تفسير الكتاب العزيز: (399/4–400).

[6] الكندي، التفسير الميسر: (374/3).

[7] اطفيّش، همیان الزاد: (355/14).

[8] المصدر السابق: (357/14).

[9] انظر: الفراء، إبطال التأويلات: (ص184)، وابن منده، الرد على الجهمية: (ص15–22)، وابن خزيمة، التوحيد: (202/1)، وابن تيمية، مجموع الفتاوى: (394/6–395)، وابن القيم، الصواعق المرسلة: (244/1).

كون هذه الآية من آيات الصفات[1]، ويرى ابن تيمية أنّ ما ورد عن ابن عباس τ في تفسير الساق بالأمر الشديد كلّها روايات ساقطة الإسناد[2].

– **ومن السنة:** ما جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ τ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ε يَقُولُ: "**يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ**، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِئَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا"[3].

5. **صفتا الرضا والغضب:** ينفي مفسرو الإباضية هذه الصفات، ويؤولون الرضا: بالثواب والتوفيق وقبول أعمالهم، وهذا ما قاله الهواري واطفيّش الرضا في تفسير قوله تعالى: (رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ) [المائدة: 119][4].

كما ويؤولون الغضب: بالعقوبة والانتقام والطرد من رحمة الله، وهذا ما قاله الكندي واطفيّش في تفسير قوله تعالى: (غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ) [الفاتحة: 7]، وقوله: (وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ) [النساء: 93]، وقوله: (فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ) [البقرة: 90] [5]. ويرى الخليلي أنّ الغضب انفعال نفسي يدفع صاحبه إلى الانتقام، وأنّ هذا لا يليق بالله تعالى[6].

المناقشة: صفة الرضا والغضب من صفات الله تعالى الفعلية[7]، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على ذلك:

– **من القرآن:** قوله تعالى: (رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ) [المائدة: 119]، وقوله: (لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ) [الفتح: 18]، وقوله: (أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم) [المجادلة: 14]، وقوله: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ) [الممتحنة: 13].

– **ومن السنة:** قول النبيّ ε: "مَنِ التَمَسَ رِضَاءَ اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ التَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ"[8]، وكان من دعاء النبيّ ε: "اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ"[9]. وقال ε: "إِنَّ اللهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي"[10].

يقول ابن أبي العز: "ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب، والرضى، والعداوة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات، التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله"[11].

ويُقال للمعطلة: ما الفرق بين تسليمكم بصفة الإرادة وإنكارهم لهذا الصفات؟ وهي مثلها في اتصاف العبد بها؟ فهلا قلتم فيها كما قلتم في الإرادة: إنّها مخالفة للإرادة التي يوصف بها العبد[12].

6. صفتا الاستواء والعلو:

أمّا الاستواء: فقد أجمع مفسرو الإباضية على تأويل صفة الاستواء، إمّا بالاستيلاء والغلبة، وهذا ما قاله الكندي واطفيّش وبيّوض في تفسير قوله تعالى: (ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ) [الأعراف: 54][13]. وإمّا باستواء أمره في بريته، وهذا ما قاله الهواري

---

(1) ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية: (5/472–473).

(2) ابن تيمية، الرد على البكري: (ص293).

(3) البخاري، الصحيح، كتاب تفسير القرآن، باب يوم يُكشف عن ساق: (6/159: ح4919).

(4) انظر: الهواري، تفسير الكتاب العزيز: (1/512)، واطفيّش، همیان الزاد: (5/652) (7–2/242).

(5) انظر: الكندي، التفسير الميسر: (1/252)، واطفيّش، همیان الزاد: (2/172).

(6) انظر: الخليلي، جواهر التفسير: (1/284).

(7) انظر: الفراء، إبطال التأويلات: (ص539– ص612)، والمقدسي، الاقتصاد في الاعتقاد: (ص122).

(8) الترمذي، السنن، كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان: (4/609: ح2414)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (2/1052).

(9) مسلم، الصحيح، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود: (1/352: ح486).

(10) البخاري، الصحيح، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء: (9/125: ح7422)، ومسلم، الصحيح، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه: (4/2107: ح2751).

(11) ابن أبي العز، شرح الطحاوية الحنفي: (2/685).

(12) انظر: الألباني، تخريج العقيدة الطحاوية: (ص80).

(13) الكندي، التفسير الميسر: (1/156)، واطفيّش، همیان الزاد: (6–2/103)، وبيّوض، في رحاب القرآن: (3/74).

واطفيّش في تفسير الآية السابقة [1]. وإمّا بالقصد والإرادة، وهذا ما قاله اطفيّش والخليلي في تفسير قوله تعالى: (ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ) [البقرة: 29][2].

المناقشة: إنّ الإباضية ذهبت في صفة الاستواء مذهب المعتزلة، ويمكن تلخيص الردّ عليهم في عدة نقاط:

1. الاستواء صفة فعلية خبريَّة ثابتة لله Y بالكتاب والسنة والإجماع، يقول الله Y: (ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ) [طه: 5]، ويقول: (ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ) [الأعراف: 54]، ويقول: (ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ) [البقرة: 29]، ويقول النبيّ ε: "لَمَّا فَرَغَ مِنْ خَلْقِ مَا أَحَبَّ، اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ"[3]. ونقل البيهقي بسنده عن الإمام الأوزاعي إجماع الأئمة على أنّ الله تعالى مستوٍ على عرشه[4]. وهذا الاستواء يليق بالله تعالى ولا نخوض في كيفيته، فعندما سئل الإمام مالك: كَيْفَ اسْتَوَى؟ قال: "الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالِاسْتِوَاءُ مِنْهُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَإِنِّي لَأَخَافُ أَنْ تَكُونَ ضَالًّا. ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ"[5].

2. جاء في معنى الاستواء في لغة العرب: الارتفاع والعلو والصعود والاستقرار[6]، وهذه المعاني موافقة لما ذهب إليه السلف وعلماء الأمة، ونسبه السمعاني والبغوي إلى أكثر مفسري السلف [7]، وذكر البخاري عن أَبي الْعَالِيَةِ: "اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ": ارْتَفَعَ، وعن مُجَاهِدٌ "اسْتَوَى": عَلَا عَلَى الْعَرْشِ[8].

3. قولهم بأنّ الاستواء بمعنى الاستيلاء قول لا تسعفه اللغة، فلفظ الاستواء في كلام العرب نوعان: مطلق ومقيد: فالمطلق ما لم يُوْصَل معناه بحرف مثل قوله: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ) [القصص: 14]، وهذا معناه كمل وتمّ، وأمّا المقيد فثلاثة أضراب: أحدها: مقيد بإلى كقوله: (ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ) [البقرة: 29]، وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف. والثاني: مقيد بعلى كقوله: (وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ) [هود: 44]، وهذا أيضا معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة. الثالث: المقرون بواو (مع) التي تعدي الفعل إلى المفعول معه، نحو: استوى الماء والخشبة بمعنى ساواها. وهذه معاني الاستواء المعقولة في كلامهم، ليس فيها معنى استولى البتة، ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتمد قولهم، وإنّما قاله متأخرو النحاة ممّن سلك طريق المعتزلة والجهمية[9].

وأمّا العلو: فقد حمل مفسرو الإباضية العلو على علوّ القدر والمكانة، لا علوّ الذات، وحجتهم في ذلك أنّه يلزم من إثبات العلو: الجسمية والتبعيض والتحيّز والحدود[10]، وأوّلوا جميع الآيات التي تدل على صفة العلو بما يتناسب مع مذهبهم:

1. قوله تعالى: (وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ) [البقرة: 255]، يقول الكندي: "العلي: في ملكه وسلطانه"[11]. ويقول اطفيّش: "على القدر والشأن لا علو المكان، لتنزهه عن الكمان"[12].

---

[1] الهواري، تفسير الكتاب العزيز: (33/3)، واطفيّش، هميان الزاد: (6-103/2).

[2] اطفيّش، هميان الزاد: (194/13)، والخليلي، جواهر التفسير: (526/2).

[3] البيهقي، الأسماء والصفات: (243/2)، وابن منده، التوحيد: (ص547)، وأبو يعلى، إبطال التأويلات: (ص187)، وقال ابن القيم في اجتماع الجيوش (ص127): "إسناد صحيح على شرط البخاري".

[4] البيهقي، الأسماء والصفات: (304/2)، وإسناده صحيح كما قال ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية: (207/1).

[5] انظر: اللالكائي، شرح أصول الاعتقاد: (441/3)، وأبو نعيم، حلية الأولياء: (325/6)، والبيهقي، الأسماء والصفات: (306/2).

[6] انظر: الأزهري، تهذيب اللغة: (85/13)، والجوهري، الصحاح: (2385/6)، وابن منظور، لسان العرب: (414/14).

[7] انظر: الطبري، جامع البيان: (430/1)، والسمعاني، تفسير القرآن: (63/1)، والبغوي، معالم التنزيل: (78/1) (235/3).

[8] انظر: البخاري، الصحيح، كتاب التوحيد، باب: وكان عرشه على الماء: (124/9).

[9] انظر: الموصلي، مختصر الصواعق المرسلة: (ص372).

[10] انظر: الخليلي، جواهر التفسير: الجزء الخاص: (ص88).

[11] الكندي، التفسير الميسر: (138/1).

[12] اطفيّش، هميان الزاد: (358/3).

2. قوله تعالى: (وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ) [الأنعام: 18]، يقول الكندي: "عالي عليهم بالقدرة والقهر"[1]. ويقول اطفيّش: "المراد بالفوقية علوّ القدرة"[2]. ويقول الخليلي: "الفوقية هنا فوقية رتبة وقدر"[3].

3. قوله تعالى: (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ) [النحل: 50]، يقول اطفيّش: "أي: يخافون ربّهم أن يرسل عذابًا من فوقهم.. أو: يخافون ربّهم كائنًا فوقهم بالقهر"[4].

4. قوله تعالى: (ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ) [الملك: 16]، يقول الكندي: "يعني: الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم، أو الله تعالى على تأويل (من في السماء) أمره أو قضاؤه"[5]. وبنحوه قال اطفيّش[6].

المناقشة: إنّ ما ذهب إليه الإباضية في تأويل صفة العلو مخالف لمعتقد السلف، ومصادم للأدلة من الكتاب والسنة، ويمكن إجمال الردّ عليهم في النقاط التالية:

1. العلوّ صفةٌ ذاتيةٌ ثابتةٌ لله Y، فهو متصف بها أبدًا وأزلًا، والفرق بين العلو والاستواء: إنّ العلوّ صفة ذاتية، أمّا الاستواء فصفة فعلية.

2. الأدلة من الكتاب والسنة على علوّ الله تعالى أكثر من أن تُحصر، ومن هذه الأدلة:

– دلالة أسمائه Y: قال تعالى: (وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُسجى [البقرة: 255]، وقال: (سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَىسجى [الأعلى: 1].

– دلالة الفوقية: قال تعالى: (وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ) [الأنعام: 18]، وقال: (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ) [النحل: 50]. وعن أَنَسٍ τ قَالَ: "كَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ε تَقُولُ: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ"[7]. وكان من دعاء النبيّ ε: "وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ"[8].

– دلالة كونه Y في السماء: قال تعالى: (ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ) [الملك: 16]، يقول البيهقي: "ومعنى قوله في هذه الأخبار: (من في السماء) أي: فوق السماء على العرش، كما نطق به الكتاب والسنة"[9]. وجاء في حديث جارية معاوية بن الحكم τ أنّ النبيّ ε سألها: "أَيْنَ اللهُ؟" قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: "مَنْ أَنَا؟" قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: "أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ"[10]. وقال ε: "الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحمنُ، ارحَمُوا أهلَ الأرضِ يَرْحَمْكُم مَن في السّماء"[11].

– دلالة صعود الأشياء إليه ونزولها من عنده: قال تعالى: (إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ) [فاطر: 10]، وقال: (إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ) [آل عمران: 55]، وقال: (تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) [فصلت: 2]، ودليل معراج نبيّنا ε إلى السماء السابعة من أظهر الأدلة على علوّ الله Y[12].

---

[1] الكندي، التفسير الميسر: (352/1).

[2] اطفيّش، همیان الزاد: (38/6).

[3] الخليلي، جواهر التفسير: الجزء الخاص: (ص349).

[4] اطفيّش، همیان الزاد: (9–273/1).

[5] الكندي، التفسير الميسر: (376/3).

[6] اطفيّش، همیان الزاد: (14/331–332).

[7] البخاري، الصحيح، كتاب التوحيد، باب: وكان عرشه على الماء: (124/9: ح7420).

[8] مسلم، الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول عند النوم: (2084/4: ح2713).

[9] البيهقي، الأسماء والصفات: (329/2).

[10] مسلم، الصحيح، كتاب الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة: (381/1: ح537).

[11] أبو داود، السنن، كتاب الآداب، باب في الرحمة: (298/7: ح4942)، والترمذي، السنن، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين: (323/4: ح1924)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (661/1).

[12] البخاري، الصحيح، كتاب التوحيد، باب قوله: "وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا": (149/9: ح7517).

– دلالة نزول ربّ العالمين في الثلث الأخير من الليل: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ τ: أَنَّ رَسُـــولَ اللهِ ε قَالَ: "يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّـــمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْـــتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْـــأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ"[1].

3. دلّت الفطرة على علوّ الله Y: ومن ذلك توجّه الخلق إذا نابهم شـــيء إلى جهة العلو بقلوبهم وأيديهم، يقول الإمام الدارمي في هذا: "الروايات لتحقيق ما قلنا متظاهرة عن رســـول الله ε وأصـــحابه والتابعين.. ثم إجماع من الأولين والآخرين، العالمين منهم والجاهلين، أنّ كلّ واحد ممّن مضى وممّن غبر إذا استغاث بالله تعالى، أو دعاه، أو سأله، يمدّ يديه وبصره إلى السماء يدعوه منها، ولم يكونوا يدعوه من أسفل منهم من تحت الأرض، ولا من أمامهم، ولا من خلفهم، ولا عن أيمانهم، ولا عن شمائلهم، إلا من فوق السماء، لمعرفتهم بالله أنّه فوقهم"[2].

4. دلّ العقل على علوّ الله Y: فإنّه من المعلوم عقلًا أنّ الله كان ولا شيء معه ثمّ خلق العالم؛ فلا يخلو إمّا أن يكون خلقه في نفسه وانفصل عنه، وهذا محال – تعالى الله عن مماسة الأقذار وغيرها – وإمّا أن يكون خلقه خارجًا عنه ثمّ دخل فيه، وهذا محال أيضًا – تعالى أنْ يحلّ في خلقه – وهاتان لا نزاع فيهما بين أحد من المسلمين، وإمّا أن يكون خلقه خارجًا عن نفسه الكريمة، ولم يحل فيه فهذا، هو الحقّ الذي لا يجوز غيره ولا يليق بالله إلا هو[3]. فإذا ثبت ذلك فإنّ المباينة تقتضي ضرورة أن يكون I في العلو أو في جهة أخرى، ومن المعلوم بالضرورة أنّ العلو أشرف من سائر الجهات؛ فوجب ضرورة اختصاص الربّ بأشرف الأمرين وأعلاهما[4].

7. **صفات المجيء والإتيان والنزول:** نفى مفسرو الإباضية هذه الصفات، وأوّلوا مجيء الله وإتيانه في قوله تعالى: (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا) [الفجر: 22]، وقوله: (هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ) [الأنعام: 158]: بمجيء أمره وبأسه، أو بظهور قدرته وآثار قهره[5]، أمّا النزول فأوّلوه بنزول رحمته، أو نزول ملك له من الملائكة[6]، ويقول اطفيّش في حديث النزول: "وترك مثل هذا الحديث على ظاهره من كيفية النزول: شـــرك – تعالى الله – وإبقائه بلا تأويل ولا إجراء ظاهره على المذكور: نفاق، وهو إعراض عن العلم ورجوع عنه"[7].

المناقشة: صفة المجيء والإتيان والنزول من صفات الله تعالى الفعلية[8]، الثابتة في الكتاب والسنة:

أمّا من القرآن: فقوله تعالى: (هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ) [البقرة: 210]، وقوله تعالى: (هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ) [الأنعام: 158]، وقوله تعالى: (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا) [الفجر: 22]. يقول الإمام الأصبهاني في فهم هذه الآيات: "اجتمع الأئمة على أنّ تفسيرها قراءتها، قالوا: "أمروها كما جاءت".. كلّ ذلك بلا كيف ولا تأويل، نؤمن بها إيمان أهل السلامة والتسليم لأهل السنة"[9].

---

[1] البخاري، الصحيح، كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل: (53/2: ح1145)، ومسلم، الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه: (521/1: ح758).

[2] الدارمي، الرد على الجهمية: (ص40).

[3] انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى: (152/5).

[4] انظر: ابن القيم، الصواعق المرسلة: (892/2).

[5] انظر: الهواري، تفسير الكتاب العزيز: (197/1) (503/4)، والكندي، التفسير الميسر: (119/1) (490/3)، واطفيّش، همیان الزاد: (160/3) (293/15).

[6] انظر: اطفيّش، همیان الزاد: (38/4)، والخليلي، جواهر التفسير: الجزء الخاص: (ص207).

[7] اطفيّش، همیان الزاد: (38/4).

[8] انظر: الأشعري، رسالة إلى أهل الثغر: (ص128)، والدارمي، الرد على الجهمية: (ص76)، والإسماعيلي، اعتقاد أئمة الحديث: (ص62)، والفراء، إبطال التأويلات: (ص158) (ص303)، وابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية: (114/1).

[9] الأصبهاني، الحجة في بيان المحجة: (259/1–260).

– **ومن السنة:** قوله ε: "يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ"[1]. وجاء في حديث النبي ε: "فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ"[2]. قال الإمام الدارمي: "فهذه الأحاديث قد جاءت كلّها وأكثر منها في نزول الرب I في هذه المواطن، وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، لا ينكرها منهم أحد، ولا يمتنع من روايتها، حتى ظهرت هذه العصابة؛ فعارضت آثار رسول الله ε بردّ، وتشمروا لدفعها بجدّ"[3].

ومن أقوى الردود على المعطلة ما قاله الإمام الطبري: "ولا نقول: معنى ذلك ينزل أمره؛ بل نقول: أمره نازلٌ إليها كل لحظةٍ وساعةٍ وإلى غيرها من جميع خلقه الموجودين ما دامت موجودةً، ولا تخلو ساعةٌ من أمره فلا وجه لخصوص نزول أمره إليها وقتًا دون وقتٍ، ما دامت موجودةً باقيةً"[4].

8. **الصفات المقيدة: الكيد والمكر والخداع والاستهزاء:** وهي من الصفات التي ينفيها مفسرو الإباضية، فيؤولون الكيد في قوله تعالى: (إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) [الأعراف: 183]: بأخذهم بالعذاب[5]، ويؤولون المكر في قوله تعالى: (وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ) [آل عمران: 54]: بمجازاتهم على مكرهم من باب المشاكلة[6]. ويؤولون الخداع في قوله تعالى: (إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ) [النساء: 142]: بالاستدراج والإملاء ومجازاتهم على خداعهم[7]. ويؤولون الاستهزاء في قوله تعالى: (ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) [البقرة: 15]: بمجازاتهم على استهزائهم أو بالانتقام منهم[8].

المناقشة: صفات الكيد والمكر والخداع والاستهزاء من صفات الله Y الفعلية المقيّدة الثابتة في الكتاب والسنة[9]:

– **أما من القرآن:** فقوله تعالى: (إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) [الأعراف: 183]، وقوله: (وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ) [آل عمران: 54]، وقوله: (وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) [النمل: 50]، وقوله: (إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ) [النساء: 142]، وقوله: (ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) [البقرة: 15].

– **ومن السنة:** ما جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ τ أَنَّ النَّبِيَّ ε كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: "رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ"[10]. وجاء عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ τ أَنَّهُ كَانَتْ عِنْدَهُ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ، فَقَالَتْ لَهُ وَهِيَ

---

[1] البخاري، الصحيح، كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل: (53/2: ح1145)، ومسلم، الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه: (521/1: ح758).

[2] البخاري، الصحيح، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة": (128/9: ح7437)، ومسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية: (163/1: ح182).

[3] الدارمي، الرد على الجهمية: (ص90).

[4] الطبري، التبصير في معالم الدين: (ص146–147).

[5] انظر: الهواري، تفسير الكتاب العزيز: (400/4)، والكندي، التفسير الميسر: (467/1).

[6] انظر: الكندي، التفسير الميسر: (169/1)، واطفيّش، هميان الزاد: (113/4)، وبيّوض، في رحاب القرآن: (101/2).

[7] انظر: الكندي، التفسير الميسر: (283/1)، اطفيّش، هميان الزاد: (217/5).

[8] انظر: الكندي، التفسير الميسر: (31/1)، واطفيّش، هميان الزاد: (122/1)، والخليلي، جواهر التفسير: (355/2–358).

[9] انظر: الطبري، جامع البيان: (316/1)، والأصبهاني، الحجة في بيان المحجة: (181/1)، وابن تيمية، التدمرية: (ص26)، وابن القيم، إعلام الموقعين: (157/5).

[10] أبو داود، السنن، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل إذا أسلم: (83/2: ح1510)، وابن ماجه، السنن، كتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله ε: (1259/2: ح3830)، والترمذي، السنن، كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده: (554/5: ح3551)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (656/1).

حَامِلٌ: طَيِّبْ نَفْسِي بِتَطْلِيقَةٍ، فَطَلَّقَهَا تَطْلِيقَةً، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَرَجَعَ وَقَدْ وَضَعَتْ، فَقَالَ: مَا لَهَا؟ خَدَعَتْنِي، خَدَعَهَا اللَّهُ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ε، فَقَالَ: "سَبَقَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، اخْطُبْهَا إِلَى نَفْسِهَا"[1].

قال الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى: (ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ) [البقرة: 15]: "والصواب في ذلك من القول والتأويل عندنا: أنّ معنى الاستهزاء في كلام العرب: إظهار المستهزئ للمستهزَأ به من القول والفعل ما يرضيه ظاهرًا، وهو بذلك من قيله وفعله به مورثه مساءة باطنًا، وكذلك معنى الخداع والسخرية والمكر"[2].

والذي يجب اعتقاده أنّ هذه الصفات ليس مطلقة بل هي مقيّدة، ويوضّح ابن القيم ذلك بقوله: "إنّ الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقًا، ولا ذلك داخل في أسمائه الحسنى... فإنّ هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقًا، بل تمدح في موضع وتذم في موضع، فلا يجوز إطلاق أفعالها على الله مطلقًا"[3].

والذي يقصده ابن القيم رحمه الله أنّه لا بدّ من تقييد هذه الصفات، فيُقال: من صفاته: الكيد لأعدائه، والمكر بمن يمكر بالمؤمنين، والاستهزاء بالكافرين، يقول حافظ الحكمي: "واعلم أنّه قد ورد في القرآن أفعال أطلقها الله Y على نفسه على سبيل الجزاء والعدل والمقابلة، وهي فيما سيقت فيه مدح وكمال، لكن لا يجوز أنْ يشتق له تعالى منها أسماء، ولا تطلق عليه في غير ما سيقت فيه من الآيات"[4].

فالصواب إثبات وصف الله بذلك حقيقةً، على الوجه اللائق به سبحانه، كسائر الصفات، وهو سبحانه يجازي العامل بمثل عمله، فمن مكر مكر به، ومن خادع خدعه، وهذا قول أهل السنة والجماعة، والله الموفق.

الخاتمة

النتائج:

توصل الباحثان في خاتمة هذا البحث، لعدة نتائج مهمة:

1. الإباضية فرقة من فرق الخوارج، أسسها عبد الله بن إباض، وهو رأس من رؤوس الخوارج، ونسبوا أنفسهم إلى التابعي جابر بن زيد، وهو بريء منهم.
2. خالفت الإباضية معتقد أهل السنة في الكثير من القضايا، ومنها: قضية الإيمان وزيادته، والقول بخلود مرتكب الكبيرة في النار، وإنكار الشفاعة لهم ولأهل المعاصي، وإنكار رؤية الله Y في الآخرة، وإنكار الميزان والصراط، والطعن في بعض الصحابة الكرام وفي أئمة السلف وعلماء الأمة.
3. لا يوجد للخوارج تفاسير على مرّ العصور؛ بسبب انشغالهم في الحروب ضد الدولة الإسلامية، إلا ما كان من الإباضية التي استمر وجودها؛ بسبب سياسة التقيّة التي استخدمتها مع المخالف، وقد كان لهم نتاج تفسيري محدود قديمًا وحديثًا.
4. اعتمد الإباضية على العقل في فهم آيات العقيدة؛ تأثرًا بالمعتزلة، كما وأنكروا الأحاديث النبوية الصحيحة، وبالأخص أخبار الآحاد، التي تتعارض مع عقائدهم، مع حشو بعض تفاسيرهم بالإسرائيليات.
5. أوّلت الإباضية – في تفاسيرهم – نصوصًا من القرآن الكريم، بما يخدم معتقداتهم، ومستندهم كان إعمال العقل، وإهمال النقل، والتعلّق ببعض أوجه اللغة العربية والشعر.

---

[1] ابن ماجه، السنن، كتاب الطلاق، باب المطلقة الحامل إذا وضعت ذا بطنها بانت: (653/1: ح2026)، وصححه الألباني في إرواء الغليل: (197/7).

[2] الطبري، جامع البيان: (315/1).

[3] الموصلي، مختصر الصواعق المرسلة: (ص306–307).

[4] الحكمي، معارج القبول: (118/1).

6. ترى الإباضية – من خلال تتبع تفاسيرهم – أنّ الصفات هي عين الذات المقدسة، تبعًا للمعتزلة، وهو قول يفضي إلى إنكار الصفات، أو عدّها أمورًا اعتبارية لا حقيقية.

7. تنفى الإباضية صفات الله الخبرية، ويؤولونها عن حقيقتها، ويصرفونها عن ظاهرها؛ فرارًا من التشبيه على حدّ زعمهم، كصفة السمع والبصر والكلام والوجه والعين والساق واليد والاستواء والعلو، وغيرها.

التوصيات:

1. يوصي الباحثان جموع المسلمين عامة، وطلاب العلم خاصة، بتقوى الله Y في السرّ والعلن، والاهتمام بدراسة الكتب القديمة والحديثة في ضوء عقيدة السلف، سواء كانت هذه الكتب في اللغة أو التفسير أو علوم القرآن أو أصول الفقه أو شروح الحديث النبوي.

2. التركيز على الأبحاث العلمية، والمناظرات المفيدة، والتي من شأنها تبيين المعتقد الصحيح، والدعوة إلى نبذ التقليد الأعمى، واتباع الدليل الصريح والصحيح، والذي يتوافق معه العقل السليم والفطرة النقيّة.

3. تدريس مادة مناهج المفسرين في جميع التخصصات الشرعية؛ والذي من شأنه أن يحصّن الدارسين من أي دخيل يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة.

وفي الختام: نسأل الله تعالى أن يلقى هذا البحث قارئًا كريمًا، يقبل صوابه، ويصوّب خطأه، واللهَ نسأل أن يجعل هذا خالصًا لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم وبارك على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع[1]:

أولاً: قائمة المراجع العربية:

ابن أبي العز الحنفي، محمد بن علاء الدين، (١٤١٧هـ – ١٩٩٧م)، ***شرح العقيدة الطحاوية***، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد الله التركي، (ط10)، مؤسسة الرسالة – بيروت.

ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، (١٤١٧هـ – ١٩٩٧م)، ***الكامل في التاريخ***، تحقيق: عمر عبد السلام، (ط1)، دار الكتاب العربي – بيروت.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر، (١٤٠٨هـ)، ***الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة***، تحقيق: علي الدخيل الله، (ط1)، دار العاصمة – الرياض.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر، (١٤٢٣هـ)، ***إعلام الموقعين عن رب العالمين***، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (ط1)، دار ابن الجوزي – الرياض.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (١٤١١هـ – ١٩٩١م)، ***درء تعارض العقل والنقل***، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، (ط2)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (١٤١٦هـ–١٩٩٥م)، ***مجموع الفتاوى***، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (د. ط)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة النبوية.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م)، ***التدمرية***، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، (ط6)، مكتبة العبيكان – الرياض.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (١٤٢٦هـ)، ***بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية***، (ط1)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ابن حنبل، أحمد بن محمد، ***الرد على الجهمية والزنادقة***، تحقيق: صبري شاهين، (ط1)، دار الثبات للنشر والتوزيع.

[1] أهم المراجع.

ابن خزيمة، محمد بن إسحاق، (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، ***كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل***، تحقيق: عبد العزيز الشهوان، (ط5)، مكتبة الرشد - السعودية.

ابن فارس، أحمد بن فارس، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، ***معجم مقاييس اللغة***، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر.

ابن منظور، جمال الدين ابن منظور، (١٤١٤هـ)، ***لسان العرب***، تحقيق: اليازجي وآخرين، (ط3)، دار صادر - بيروت.

الأزهري، محمد بن أحمد، (٢٠٠١م)، ***تهذيب اللغة***، تحقيق محمد مرعب، (ط1)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، ***مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين***، تحقيق: نعيم زرزور، (ط1)، المكتبة العصرية.

البخاري، محمد بن إسماعيل، (1311هـ)، ***صحيح البخاري***، تحقيق: جماعة من العلماء، طبعة السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية - بولاق مصر.

البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، (١٩٧٧م)، ***الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية***، (ط2)، دار الآفاق الجديدة - بيروت.

الدارمي، عثمان بن سعيد، (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، الرد على الجهمية، تحقيق: أبو عاصم الشّوامي، (ط1)، المكتبة الإسلامية - القاهرة.

الدارمي، عثمان بن سعيد، (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م)، ***نقض الدارمي على المريسي***، تحقيق: أَبُو عَاصِم الشَّوَامِيُّ، (ط1)، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع - القاهرة..

الذهبي، محمد السيد حسين، (د. ت)، ***التفسير والمفسرون***، (د. ط)، مكتبة وهبة - القاهرة.

الراغب الأصفهانى، الحسين بن محمد، (١٤١٢هـ)، ***المفردات في غريب القرآن***، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (ط1)، دار القلم والدار الشامية - دمشق وبيروت.

السفاريني، محمد بن أحمد، (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، ***لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية***، (ط2)، مؤسسة الخافقين - دمشق.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، ***الاعتصام***، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، (ط1)، دار ابن عفان.

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، (د. ت)، ***الملل والنحل***، (د. ط)، مؤسسة الحلبي.

الطبري، محمد بن جرير، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، تحقيق د. عبد الله التركي، (ط1)، دار هجر - القاهرة.

طعيمة، صابر، (1406هـ - 1986م)، ***الإباضية عقيدة مذهبًا***، (د. ط)، دار الجيل - بيروت.

الفراء، محمد بن الحسين، (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م)، ***إبطال التأويلات لأخبار الصفات***، تحقيق: محمد بن حمد النجدي، (ط1)، دار غراس - الكويت.

قوام السنة، إسماعيل بن محمد الأصبهاني، (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، ***الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة***، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي ومحمد بن محمود أبو رحيم، (ط2)، دار الراية - الرياض.

لوح، محمد أحمد، (1424هـ)، ***جناية التأويل الفاسد***، (ط1)، دار ابن القيم - الدمام، ودار ابن عفان - القاهرة.

المبرد، محمد بن يزيد، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، ***الكامل في اللغة والأدب***، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط3)، دار الفكر العربي - القاهرة.

مسلم، مسلم بن الحجاج، (١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥م)، ***صحيح مسلم***، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (د. ط)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة.

اطفيّش، محمد بن يوسف، (1413هـ - 1993م)، ***هِميان الزاد إلى دار المعاد***، (ط2)، وزارة التراث القومي والثقافة - عُمان.

الباروني، سليمان بن عبد الله، ***مختصر تاريخ الإباضية***، (ط2)، دار الاستقامة - تونس.

بيّوض، إبراهيم بن عمر، (2009م)، ***في رحاب القرآن***، تحقيق: ناصر بن محمد المرموري، (ط1)، وزارة التراث القومي والثقافة - عُمان.

تبغورين، تبغورين بن داود، (1426هـ – 2005م)، ***أصول الدين***، تحقيق: ونيس عامر، (ط1)، مكتبة الجيل الواعد.

تفسير كتاب الله العزيز، هود بن محكم الهواري، تحقيق بالحاج بن سعيد شريفي، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى، 1990م.

الخليلي، أحمد بن حمد، (1409هـ) ***جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل***، (ط1)، مكتبة الاستقامة – سلطنة عُمان.

الربيع، الربيع بن حبيب، (د. ت)، ***الجامع الصحيح = مسند الربيع***، ترتيب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، دار الفتح – بيروت، ومكتبة الاستقامة – مسقط.

الرستاقي، خميس بن سعيد، (1413هـ – 1993م) ***منهج الطالبين وبلاغ الراغبين***، تحقيق: سالم بن حمد الحارثي، (ط2)، وزارة التراث القومي والثقافة – عُمان.

السالمي، عبد الله بن حميد، (1409هـ – 1989م)، ***مشارق أنوار العقول***، تعليق: أحمد بن حمد الخليلي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، (ط1)، دار الجيل.

السالمي، عبد الله بن حميد، (1414هـ)، ***بهجة الأنوار شرح أنوار العقول في التوحيد***، (ط3)، مطابع النهضة – مسقط.

السعدي، جميل بن خميس، (1403هـ)، ***قاموس الشرعية الحاوي طرقها الوسيعة***، (ط1)، وزارة التراث القومي والثقافة – عُمان.

الكندي، سعيد بن أحمد، (1418هـ–1998م)، ***التفسير المنّير للقرآن الكريم***، تحقيق: مصطفى شريفي ومحمد بن موسى، (ط1)، جمعية التراث بالقرارة.

المصعبي، عبد العزيز بن إبراهيم، (1407هـ – 1986م)، ***معالم الدين***، وزارة التراث القومي والثقافة – عُمان.

معمر، علي بن يحيى، (1406هـ – 1986م)، ***الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث***، (د. ط)، وزارة التراث القومي والثقافة – عمان.

الوارجلاني، يوسف بن إبراهيم، (1417هـ – 1997م)، ***الدليل والبرهان***، تحقيق: سالم بن حمد الحارثي، (ط2)، وزارة التراث القومي والثقافة – عُمان.

ثانياً: قائمة المراجع الأجنبية والمرومنة:

Al-asha'ry, abo al-hasan ali ben esmail, (2005M,1426H), Maqalat al-eslamyeen w ekhtlaf al-mosaleen, (In Arabic), comment: Naa'eem zerzor, 1st edition, Al-maktaba ala'asrya.

Al-azhary, Mohammed ben Ahmed (2001M), Tahzeeb al-logha, (In Arabic), comment: Mohammed mra'b, 1st edition, Dar ehya'aa altorath al-arabi -Beirut.

Albaghdady, Abd al-qaher ben taher, (1997M), Al-fark bayn alfark w byan alferka al-nagya, (In Arabic), 2 edition, Dar al-afaak al-gadeeda -Beirut.

Al-bokhary, mohammed ben ismail, (1311H), Sahih al-bokhary, (In Arabic), comment: Gmaa'a men al a'olmaa, taba'et al-soltanya bl matba'a al-kobra al-ameryya-Bulaq Egypt.

Al-darmey, othman be sa'eed, (2010M-1431H), Al-rad a'la al-ghmya, (In Arabic), comment: Abo a'asem al-shawamy, 1st edtion, Al-maktba al-eslamya_Cairo.

Al-darmey, othman be sa'eed, (2012M-1433H), Naqd Al-darmey, a'la al-mresye, (In Arabic), comment: Abo a'asem al-shawamy, 1st edtion, Al-maktba al-eslamya_Cairo.

Al-fraa', Mohammed ben al husain, (2013M-1434H), Ebtal al-taa'weelat l akhbar al-sefat, (In Arabic), comment: Mohammed ben hamad al-nagdy, 1st edition, Dar al-ghars - Kuwait.

Al-mbrd, Mohammed ben zaid, (1997M,1417H), Al-kamel fy al-logha w al-adab, (In Arabic), comment: Mohammed Abu al-fadel ibrahim, 3rd edition, Dar al-fekr al arabi - Cairo.

Al-ragheb al-asfhani, al-hussain ben mohammed, (1412H), Almofrdat fy ghareeb al qoraan, (In Arabic), comment: Safwan adnan al-dawdy, 1st edition, Dar al-qalam w al-dar al-shamya Damascus.

Al-sfaryeeni, Mohammed ben ahmed, (1982M-1402H), Lwamea' al-anwar al-bahya w swatea' al-asrar al-atharya l sharh al-dorra al-madyya fy a'aqd al-ferqa al-mardyaa, edition 2, Moasaset al khafeqeen_Damascus.

Al-shahrstani, Mohammed ben abed al-kareem, (n.d.), Al-malal w al-nahel, (In Arabic), (n.e.), Moasaset al-halabi.

Al-shatby, Ibraheem ben mousa, (1992m-1412H), Al-ea'tesam, (In Arabic), comment: Salim ben a'eed al-helaly, 1st edition, Dar ebn a'ffan.

Al-tabary, Mohammed ben jareer, (2001M-1422H), Gamea' al-byaan a'an t'aweel aay al qoraan, (In Arabic), comment: Dr.Abdallah al-torkey, 1st edition, Dar-hjr_Cairo.

Al-thahaby, mohammed al-sayed hussain, (n.d.), Al-tafseer w al-mofaseroon, (In Arabic), (n.e.), maktabet wahba_Cairo.

Ibn abi alezz alhanafi, Mohammed ben a'laa aldeen, (1417H-1997M), Sharh al-a'akeeda al-tahaweya, (in Aarabic), comment: Shoa'yeb al-arnaoot w Abdalaah al-torkey, edition 10, Moasaset alresala - Beirut.

Ibn al-atheer, Ali ben abi alkaram, (1417H, 1997M), Al-kamel fy altareekh, (In Arabic). comment: Omar abd al-salam, 1st edition, Dar alketab al-arabi_Beirut.

Ibn al-qayeem, Mohammed ben abi bakr, (1423H), Ea'lam almwka'ayen a'an rab al a'aalmeen, (In Arabic), comment: Abo obyda mashhoor ben hasan al slman. 1st edition, Dar Ebn aljawzy - Al-Riyadh.

Ibn fares, ahmed ben fares, (1979M-1399), Moa'gam mkayees al-logha, (In Arabic), commment: Abd al-salam harwon, Dar al-feker.

Ibn hanbal, ahmed ben mohammed, Al-rad a'la alghmya w zanadeqa, (In Arabic), comment:Sabri shaheen, 1st edition, Dar al-thbat ll nashr w tawzeea'.

Ibn khozayma, mohammed ben eshak, (1994M-1414H), Ketab al-tawheed w ethbat sefat al-rab azza w jall. (In Arabic), comment:Abd alazeez al-shahwan, 5 edition, Maktabet al-roshd-Saudi Arabia.

Ibn manzwor, jamal al-deen ebn manzwor, (1414H), Lessan al-a'rab, (In Arabic), comment:al-yazgy w aakhareen, edition3, Dar sader- Beirut.

Ibn taymya, ahmed ben abd al-haleem, (1426H) Byaan talbees alghmya fi taasees beda'ehem alklamya, (In Arabic), 1st edition, Mogammaa' almalek fahed l-tebaa'et almoshaf alshareef - AL-Madinah AL Munawwarah.

Ibn taymya, ahmed ben abd alhaleem, (1991M-1411H), Dar'a taa'aarod ala'akel w nakel, (In Arabic), comment: Mohammed rashad salem, 2 editon, Gamea'aet alemamm mohammed ben sa'aod alislamy.

Ibn taymya, ahmed ben abd alhaleem, (1995M-1411H) Magmooa' alftawa, (In Arabic) comment: Abd al-rahman ben mohammed ben qaseem, (n.e), Mogammaa' almalek fahed l-tebaa'et almoshaf alshareef - AL Madinah AL Munawwarah.

Ibn taymya, ahmed ben abd al-haleem, (2000M-1421H), Altadmrya, (In Arabic), comment: Dr. Mohammed ben a'wda alsoa'ody, edtion 6, Maktabet ala'bykan - Al-Riyadh.

lawh, Mohammed ahmed, (1424H), Genayat al-t'aweel al-fased, (In Arabic), 1st edition, Dar ebn al-qayeem - Dammam, w Dar ebn affan - Cairo.

lbn al-qayeem, Mohammed ben abi bakr, (1408H), Al-sawaa'ek almorsala fy al-rad a'la algahmya w almoa'tla, (In Arabic), comment: Ali al-dakheel allah, 1st edtion, Dar al-a'asemah - Al-Riyadh.

Mosslem, Mosslem ben al-hajaj, (1995M-1374H), Sahih mosslem, (In Arabic) comment: Mohammed fuad abd albaki, (n.e) Matbaa'et Essa al-babi al-halbi w shorkah - Cairo.

Qwaam al-sonna, Esmail ben mohammed al-asbhani, (1999M,1419H), Al-hegga fy byan al-mahga w sharh a'aqedet ahl al-sonna, (In Arabic), comment: Mohammed ben rabeea' al-madkhaly w Mohammed ben mahmoud abo raheem, 2 edition, Dar al-rayah - Al-Riyadh.

Ta'eema, Saber, (1986M-1406H), Al-ebaddya a'aqeda mathhban, (In Arabic), (n.e), Dar al-jeel - Beirut.

Al-baroni,Solyman ben abdallah, Mokhtasar tarekh al-ebaddya, (In Arabic), 2 edition, Dar al-estqama - Tunisia.

Al-kendy, said ben Ahmed, (1998M-1418H), Al-Tafseer al-moyasar ll quran al-kareem, (In Arabic), comment: Mostafa sherify w mohammed ben mousa, 1st edition, Gama'yet al torath b Al-qarara.

Al-khalely, Ahmed ben hamad, (1409H), Jawaher al-tafseer anwar men byan altanzeel, (In Arabic), 1st edition, maktabet al-esteqama-Sultanate of Oman.

Al-Mosa'by, Abd al-aziz ben ibrahim, (1986M-1407H), Ma'alem al-diyn, (In Arabic), Wezarert al torath alqawmy w al-thaqafa_Oman.

Al-rabeea', al-rabeea' ben habib, (n.d.), Al-jamea' al-sahih = Masnad al-rabea', (In Arabic), tarteeb Yousef ben ibraheem alwarglani, Dar al-fateh - Beirut, and mktabet al-estqama - Muscat.

Al-rstaqy, khamees ben said, (1993M-1413H), Manhag al-talebyeen w blaagh al-raghebyeen, (In Arabic), comment: Salemben hamad al-harethy, 2 edition, Wezaret al-torath alwawmi w althqafa - Oman.

Al-Sa'di, Jameel ben khamees, (1403H), qamoos al-shara'ya al-hawi toroqhaal- al-wseea'a, (In Arabic), 1st edition, Wezarert al torath alqawmy w al-thaqafa_Oman.

Al-salmi, Abdalaah ben hameed, (1989M-1409H), Mshareq Anwar al-oqool, (In Arabic), comment: Ahmed ben hamad Al-khalely, and Abd-alrahman omaira, 1 edition, dar al-jeel.

Al-salmi, Abdallah ben hameed, (1414H), bahjat al-anwar shareh anwar al-oqool fy al-tawheed, (In Arabic), 3rd edition, Matabea' al-nahd_Muscat.

Al-warglany, yousef ben ibrahim, (1997M,1417H), Al-daleel w al-borhan, (In Arabic), comment: Salem ben Hamad al-harethy, 2 edition, Wezarert al torath alqawmy w al-thaqafa - Oman.

bayyoud, Ebrahim ben omar, Fy rehab al quran, (In Arabic), comment: Naser ben mohammed al-mrmory, 1st edition, Wezaret al-torath alqawmi w al thkafa_Oman.

Ettfayeesh, Mohammed ben yousef, (1993M-1413H), Hemyan alzad ela dar Al-mea'ad, (In Arabic), 2 edition, Wezaret al-torath al-qawmi w al-thqafa - Oman.

moa'mar, Ali ben yehya, (1986M-1406H), al-ebaddya bayn al-feraq al-eslamyaa a'end ketab al-maqalat fy al-qadeem w al-hadeeth, (In Arabic), (n.e), Wezarert al torath alqawmy w al-thaqafa_Oman.

Tafseer ketab allah al-aziz, Hood ben mhkm al-howary, Tahkek bl hag ben said shariefy, (In Arabic), Dar al-gharb al-islamy,Beirut, 1st edition, (1990M).

Tbghoryeen, tbghoryeen ben dawood, (2005M,1426H), Osool al-deen, (In Arabic), comment: Wanees a'amer, 1st edition, Mktbt al-jeel al-waa'ed.